



عناصر المادة

الحلقة الأولى:

الحلقة الثانية:

الحلقة الثالثة:

الحلقة الرابعة:

الحلقة الخامسة:

الحلقة السادسة:

الحلقة السابعة:

الحلقة الثامنة:

الحلقة التاسعة:

الحلقة العاشرة:

الحلقة الحادية عشرة:

الحلقة الثانية عشرة:

الحلقة الثالثة عشرة:

الحلقة الرابعة عشرة:

الحلقة الخامسة عشرة:

الحلقة السادسة عشرة:

الحلقة السابعة عشرة:

الحلقة الثامنة عشرة:

الحلقة الأولى:

بداية لا أستطيع أن أتكلم عن كل شيء فلا أدعني أملك الحقيقة كاملة.

ولحساسية الموضوع وكون هناك أسماء شخصيات فالوضع في هذه الفترة ليس مناسباً لذكرها إلا نادراً.

ما أريد أن أوصله في هذه العجالات نقل هذه التجربة ليتعرف عليها الناس ويستخلاصوا منها العبر. ولعل الله ييسر لي فأخرج هذه التجربة في كتاب جامع عندما يحين الوقت المناسب إن شاء الله.

"نورة ما قبل الثورة" وقد يت芳جاً الناس من هذا العنوان ولكنهم عندما يتعرفون عليها سيختلف الأمر.

لأنه في هذه التجربة أثر ليس في الشام بل في العالم أجمع كما سيتبين لنا.

سأمر على المراحل والأحداث بشكل مركز و مكثف فأرجو الإنتباه واليقظة، وببداية: من تدمر إلى صيدنايا، عندما اندلعت أحداث الثمانينات على فرعون سوريا الهالك حافظ كان سجن تدمير الشهير هو المعتقل ولا يخفى على أحد فطاعة سجن تدمير ورغم كل ما قرأتنا عن سجون الطواحيت فلا سجن مثله. وعندما كان التدمريون وهم نزلاء هذا السجن يحدثوننا فلا يكاد يصدق المرء ما يسمع للهول والفطاعة والإجرام.

كانت سياسة حافظ الإكثار من السجون فهذا دأب الطغاة والمجرمين. فتم بناء سجن صيدنايا ليحل محل تدمير.

دائماً يختار الخباء أمكناة سياحية لمعتقلاتهم وكما هي واحة تدمير كانت تلة صيدنايا وكما هي زنوبيا فقد كان القديسة مرريم والعبابيد هم العبابيد، أنجزت شركة ألمانية بناء هذا السجن الممحض على شكل مضلع مسدس (إشارة مرسيدس) وأحيط بثلاثة أسوار ملغمة في التلة.

تحول هذا السجن إلى السجن العسكري الأول بعد إغلاق سجن المزة عام 2000 وكان يقتصر على السجناء من العسكريين ومع انتهاء حقبة الثمانينات ومنتصف التسعينات أصبح التدمريون يحولون إلى هذا السجن الغاية هي قضاء نقاوة قبل إخراجهم حيث كانت المعاملة أقل سوء، ومع هلاك حافظ واستلام بشار الذي ألغى سجن المزة وسجن تدمير السيء الصيت لصالح صيدنايا، وحاول بشار أن يغير الصورة السيئة لنظام والده من خلال دعوات الإصلاح والشفافية كعادة أبي رئيس في بداية استلامه السلطة، ومع نهاية عهد أبيه وببداية عهده تم اعتقال المئات من ناشطي حزب التحرير الإسلامي وتم تحويلهم إلى صيدنايا.

بدأت الأحاديث عبر ذوي السجناء تنتقل عن حسن المعاملة التي يتلقاها السجناء الإسلاميون في تلك الحقبة، ومع أحداث الحادي عشر من سبتمبر وبروز التيار الجهادي بدأت حملات اعتقال الجهاديين والسلفيين ..

فأصبح السجناء السياسيون من عدة مشارب:

إسلاميون وشيوعيون وحقوقيون ديمقراطيون (إثر نشاطات ما سمي ربيع دمشق) بالإضافة إلى من يطلق عليهم اسم القاضائيين والجواسيس وهم من لهم علاقات مع دول معادية كإسرائيل. الإسلاميون كانوا من بقايا الإخوان المسلمين (التحريريون) والسلفيون (الدعويون) والجهاديون.

وكان السجناء يعاملون معاملة لا يأس بها توفرت لديهم كثير من متطلبات الراحة كسجناء من خلال الرشاوى لإدارة السجن، وكان هناك جناح خاص للجهاديين يسمى جناح الدا(33) نسبة لدعوى أفغانستان وعددتهم 33 سجينًا.

كان رئيس جناح الدا 33 هو الشيخ شاكر العبسي (طيار سابق في حركة فتح والمعنى أبو يوسف) والذي دخل بدعوى إسلامية وأسس لاحقاً فتح الإسلام، بدأت تظهر من بعض السجناء مظاهر سلفية من طول اللحية والأفغانيات والشعر الطويل والمآoid الجماعية مما أثار حفيظة السجن.

طلبت الإدارة من السجناء تخفيف هذه المظاهر دون استجابة جدية من قبل السجناء الذين تمسكوا بها، فقام لؤي يوسف (مدير السجن وهو نصيري) بتصوير هذه المظاهر السلفية وإرسالها إلى مكتب الأمن القومي ليحيطهم بالأمر. وجاء الرد من

مكتب الأمن القومي بدمج الإسلاميين مع السياسيين والقضاءيين وطبقت إدارة السجن هذا القرار بعد أن كان كل تيار له جناحه الخاص.

تمنع جناح الـ33 من الاندماج فقام مدير السجن بابتزازهم بمنع الزيارة وشق صف الجناح بين مؤيد ومعارض للاندماج مما سهل عليه تنفيذ القرار أخيراً، وأصبحت الأجنحة مختلطة فبدأت صراعات الأفكار بين الإسلاميين من جهة مع الغير إسلاميين وكذلك داخل الإسلاميين أنفسهم.

ظهر الإستقطاب داخل الإسلاميين بسبب الخلاف حول قضايا الإيمان والتطرف والحاكمية وطريقة التغيير، والأسوأ كان هو احتكاك الإسلاميين مع الجوايس والقضاءيين حيث الدخان والبذاءة وقلة الالتزام التي وصلت إلى شتم الدين والرب بشكل علني!! وزاد الأمر سوء هو استخدام إدارة السجن للسجناء غير الإسلاميين كجوايس (عواينية) ضد الإسلاميين.

في أواخر 2005 صدر عفو عن الإخوان المسلمين فخرج 190 شخصاً منهم وقد سبقه في بداية العام عفو جزئي خرج به بعض الإسلاميين وكان منهم شاكر العبسي، وبعد الدمج بين الأجنحة أصبح السجن محتقناً جداً على وشك الإنفجار فحدثت حادثة تاريخية يطلق عليها: (حادثة البورية)

الحلقة الثانية:

نحن الآن في أواخر عام 2005 في وسط كوم من القش بحاجة إلى عود ثقاب لإشعال الحريق! كان هناك أخ مأسور اسمه (أبو سعيد الضحيك) من تلبisse في حمص من دعوة أفغانستان. الرجل كان ينوي الذهاب إلى أفغانستان هناك و تم اعتقاله في باكستان وتسلیمه للنظام.

كان معروفاً بشجاعته وجرأته وحرقه على الدين وصبره على البلاء حيث بقي في زنزانة انفرادية سنتين ونصف في فرع فلسطين قبل تحويله إلى صيدنايا، أسلم على يده خلالها قس من جماعة (شهود يهوه) كان، جاره في الزنزانة كان من نزلاء جناح الـ33 وبعد الدمج كان يسمع من أحد المعتقلين القضائيين (فلسطيني تهمته التجسس لإسرائيل) السب والبذاءة المتكررة في شتم الرب والدين.

كان يحذر كثيراً ودعاه بالحكمة والموعظة الحسنة لكنه لم يرتدع وطلب من مدير السجن يوسف عدم خلط السجناء تجنبًا للمشاكل.

لم يستجب الضابط النصيري وبيدو أن خلط السجناء كان مقصوداً ولم يكن الأمر عرضياً! قرر أبو سعيد (هدر دم هذا السجين) بتهمة سب الدين والرب وذلك بعد فشل كل محاولات إيقافه عن البذاءة والتفنن في شتم الرب وحضر لذلك (بورية)!! في الصباح حمل أبو سعيد البورية متوجهاً إلى رأس ذلك السجين ضرباً حتى أرداه قتيلاً.

كان هذا الحدث مفصلياً كما قلنا و بدأ عصر العقوبات يحل في السجن الذي أصبح تدمراً جديداً. قرر المدير معاقبة كل السجناء وسحب كل الأغراض وأصبح السجناء (على البلطة) بدأ الفرز ووضع الناس كل حسب تصنيفه ووضعت القيود في أيدي السجناء وبدأ الضرب والدواليب وكان يسلط على كل؟ خمسة سجناء عشرات القطعان من الشرطة العسكرية يذيقونهم سوء العذاب والصادمة المفرطة في ذلك. واكتفت المنفردات والزنزانات بالسجناء المعاقبين والتي كانت تحت الأرض بطاوائق لاترى النور فيها مطلقاً. كانت هذه الزنزانات تسمى بـ(السواليل) لأنها سبب لمرض السل الرئوي بسبب الرطوبة والعنف.

وتحول هذا السجن الذي كان (منتجاً) إلى معتقل رهيب يفوق المعتقلات الأمنية! وفي تلك الفترة وبعد سنوات من الحرب الأمريكية على العراق دخلت حرب النظام النصيري مع الجهاديين منعطفاً جديداً. فبعد أن كان النظام يغض النظر عن المجاهدين طمعاً بالخلاص منهم وتأخير الحرب القادمة عليه بعد سقوط صدام، خضع بشكل كامل لأوامر أسياده

الأمر يكمن! فبدأت الاعتقالات تطال كل من شارك ولو بشيء بسيط في مساعدة المجاهدين في العراق. اكتظ السجن بداعوى العراق وطال الأمر كذلك الجماعات السلفية الدعوية التي لم تكن بمنأى عن هذه الاعتقالات. حيث كان النظام ينظر إلى كل سني أنه عدو لدود بغض النظر عن انتمائه. وزاد في حجم الاعتقالات بروز تنظيم (جند الشام) والذي كان يسعى لعمل داخلي في سوريا. كان الجهل هو السمة الغالبة على (جند الشام) وجلهم من عوام الناس الذين لا ناقة لهم ولا جمل في التنظيمات وأغلب دعاويمهم كانت تهمة التستر حيث تم اعتقال كل شخص جلس مع قادة جند الشام ولو مجرد شرب كأس شاي معه.

وكان مؤسس جند الشام رجلاً بسيطاً وطيب القلب من حماه يكنى (أبو شاهر) وكانت مهنته جزاراً للإبل وكان شديد الحمية والغيرة على الدين وحلمه الثأر لمجزرة حماه وكان راقياً شرعاً مميزاً مما أكسبه شعبية كبيرة في بلده وكان صادعاً في الدعوة ومحاربة البدع فالتف حوله الكثيرون حيث تميز بكاريزما خاصة لجذب العوام فتاب على يديه الكثير منهم. وبسبب بساطته ودروشه التنظيمية وطيبة قلبه قام الأمن السياسي باختراقه عن طريق عميلين أحدهما فلسطيني والآخر من درعا حيث بايعوه ووثق بهم حيث كشفوا كل خلايا التنظيم وفي النهاية دبروا اعتقاله عن طريق دس منوم له في الشاي ومن ثم توالت اعتقالات جميع المرتبطين به.

وللتتبّع، عندما استلام بشار للسلطة أراد أن يقلّم أظافر أجهزة الأمن ويحد من صلاحياتهم تنفيذاً لشرط الاتحاد الأوروبي من أجل الشراكة فقام جناحاً المخابرات الأمن السياسي بقيادة محمد منصورة والأمن العسكري بقيادة آصف شوكت بالاتفاق لثبت النظرية الأمنية وإفشال مشروع الإصلاح فكان باكرة الأمن العسكري صناعة المدعو محمود قول آغاسي (أبو القعاع) والأمن السياسي العميلان (أبو أحمد وأبو خليل) وبسبب الشد والجذب بين هذين الجناحين استطاع آصف شوكت أن يقنع بشار بخطورة جند الشام ويسحب ملفهم من الأمن السياسي بعد أن كان محمد منصورة والمعرف بصفقات المصالحة وسياسة الاحتواء كما فعل بدعاوة (صناع الحياة) في اللاذقية أراد أن يطلق سراح جند الشام بعد تصويرهم على التلفزيون وبيث اعترافاتهم ولكن تم نقل عناصر جند الشام إلى سرية المداهمة المعروفة بالفرع (215) وهنا بدأت محنّة جند الشام الحقيقة والتعذيب الشديد الذي وصل إلى حد موت أميرهم أبي شاهر - رحمة الله -. فضاعت جند الشام بين جهل أفرادها وحماستهم الغير المدروسة وكيد أعدائها وألاعيبهم المعروفة.

لم تكن هناك أوامر بالعمل الداخلي في سوريا التي كانت بالنسبة لتنظيم القاعدة (أرض نصرة وعبور). كان يدرك التنظيم خطورة العمل الداخلي في سوريا لأنّه يقطع الشريان الصغير الوحيد. لم تستجب بعض الكوادر العاملة لهذا الأمر حيث كانت الرغبة جامحة في العمل ضد النظام.

اختلط العمل الداخلي مع العمل لخط العراق مما جعل النظام يرتّب من كل من يعمل لخط العراق، وبدأت الاعتقالات تطال الجميع وبلغت ذروتها في عام 2006-2007 والذي شهد اعتقالات مكثفة. وأصبح السجن الذي لم يزد نزلاؤه على المئات مكتظاً بالسجناء ومن الإسلاميين فقط أكثر من 1400 كانت هناك عدة دعاوى للقاعدة من حلب (ذكرى عاش) ودعوة مخيم اليرموك من الفلسطينيين. والكثير من الجهاديّن كان من جماعة أبو القعاع أغاسي الرجل المشهور والذي قُتل لاحقاً بتهمة العمالة للنظام. نحن الآن وصلنا إلى نهاية عام 2007 بداية 2008 حيث امتلأت خريطة صيدنايا من السجناء.

الحلقة الثالثة:

نحن الآن في بدايات عام 2008 وقد اكتملت تقريراً خارطة السجناء في هذا السجن العتيق الذي أصبح تدمراً جديداً كما قلنا، السجن المسدس كان له ثلاث طوابق وكل طابق فيه ستة أجنحة (أ يمين ويسار، ب يمين ويسار، ج يمين ويسار). وكل جناح فيه عشرة مهاجع وطوله 60 متر.

خريطة السجن كانت مختلطة من سياسيين وغير سياسيين من القضائيين العسكريين والجواسيس، السياسيون كانوا من الإسلاميين وغير الإسلاميين.

السياسيون من غير الإسلاميين كانوا من الديمقراطيين وجماعات حقوق الإنسان وربيع دمشق (بعضهم نصيريون وإسماعيليون) وحزب العمال الكردستاني (بكتة)، من أبرز السياسيين أبو عبد الهوى مدير مكتب عبد الحليم خدام والفارس عدنان قصار الذي اعتقل بعد فوزه على باسل الأسد في سباق الفروسية وأمضى 26 سنة.

أقدم سجين في صيدنaya كان يلقب بعميد السجناء (أبو شامل) في تهمة إعداد انقلاب ضد النظام مع مجموعة ضباط عام 1980 وخرج بمرض عضال بعد 30 سنة.

من أبرز الجواسيس أبو عبير تهمته تجسس لإسرائيل والمدعو أبو بكر المشهداني مقدم عراقي عمل للموساد والia c وخرج بصفقة مع آصف شوكت وغيرهم كثير، أما الإسلاميون فقد كان منهم بقایا الإخوان المسلمين وأبناؤهم وأغلبهم غدر بهم النظام وأدخلهم عبر تعهدات بعد حرب العراق 2003 ثم اعتقلهم غدراً، وللعلم لم يبق من التدمريين الإخوان إلا سجين واحد والباقي كما قلنا اعتقلوا بعد عودتهم من العراق بعد ضمائرات من السفارة السورية هناك ثم غدر بهم، أما السلفيون الدعويون فعبارة عن دعاة أو أناس توجههم سلفي ويوزعون كتب الألباني أو ابن باز وبعضهم لأنه وزع (حسن المسلم) ولم يكن jihad من منهجهم. وبعض الدعويين اعتقلوا بتهمة توزيع أقراص cd (التصوف أفيون الشعوب) وأقراص تخص الشيعة وأغلب هؤلاء كانوا شباباً ناشئين. وكان هناك أكثر من مئة إسلامي من حزب التحرير الإسلامي وقسم لا يأس به عاد إلى صيدنaya بعد أن أخرج منها وبعضهم كان من خارج سوريا. كان من كوادر حزب التحرير دعوة ضباط انطلاقاً من منهج الحزب (مبدأ النصرة في اختراق الجيش) وتم اعتقالهم عام 1999 وحكموا 15 عاماً.

وأما الجهاديون فقد كانوا هم العدد الأكبر في السجن ولكن الجهاديين لم يكونوا كتلة واحدة فقد كانوا طرائق قدداً.

كانت الدعاوى الجهادية تقسم إلى تنظيمات خارجية (قاعدة وفتح اسلام) وتنظيمات داخلية (جند الشام والإذاعة وأخرى) وفكرة جهادي مستقل. كانت جند الشام التي ذكرنا قصتها الكتلة الأبرز وكان جلهم من حماه والحسكة، ومضايا وسرغايا (على الحدود السورية اللبنانية).

ذلك من الدعاوى المشهورة بالعمل الداخلي دعوة الإذاعة وهو فتية صغار استهدفوا مبني الإذاعة والتلفزيون عام 2006 وأغلبهم من عربين الغوطة الشرقية ولقد كان لحمص العدية نصيب مهم كذلك حيث كانت دعوى القمة: (الاتهام: التخطيط لضرب القمة العربية المزعومة عقدها في دمشق 2008).

وهناك دعاوى داخلية صغيرة كدعوة دروشة وقطنا (الغوطة الغربية) والعتيبة والعبادي (قرى في الغوطة الشرقية) وغيرها من التجمعات الصغيرة. وأما دعاوى القاعدة فكما قلنا كان تنظيم القاعدة يتخد سوريا أرض نصرة وعبر فقط (دعم لوجيستي) ويمنع العمل العسكري بها.

فتح التنظيم مكتب خدمات في سوريا وكان أمير دمشق وما حولها أبو مدين الفلسطيني المعروف بأبي معاذ رحمه الله. جند أبو معاذ العشرات من مخيم اليرموك وجلهم من الفلسطينيين وكثير منهم كان تابعاً للحركات الفلسطينية المعروفة ولهم خبرة في السلاح وحرب العصابات، ومن دعاوى القاعدة دعوى فواز اللبناني الذي كان مسؤولاً سورياً بعد اعتقال الأمير السابق مؤيد اللبناني في لبنان عام 2005. والتي كان فيها الشيخان سمير البحر وأبو العباس الشامي، وهناك دعوى أبو الحارث فرج الذي استلم أمير سوريا بعد اعتقال فواز اللبناني أواخر عام 2006، وأبرز دعاوى فتح الإسلام دعوة 55 (55 آخر) كان على رأسها رفيق الزرقاوي في معسكر هيرات وجبال كردستان أبو هاني الحلبي.

اختلاف أبوهاني مع الزرقاوي في بدايات jihad في العراق حول بعض المسائل المنهجية والتنظيمية وانفصل عنه ولحق بشاكر العبسي في لبنان. ومن حمص بالاشتراك مع حماه دعوى فتح الإسلام وكان جلهم من طلبة الجامعة وتهمتهم التستر

ومعرفة رئيس الدعوة.

ومن أبرز الدعاوي دعوى (أبوالصادق) وجلهم من الكوادر الشرعية والقيادية كان من أبرزهم الشيخ أبو حمزة الجفل وأبو يوسف البدوي رحمه الله.

وللعلم فإن دعوتنا (دعوة أبو العدل) ودعوة الغاب (حسان عبود) هي من دعاوى القاعدة ولم تلتحق بصيانتها بعد ومازالتنا في الفروع الأمنية حتى هذه اللحظة، كانت أغلب المسائل محسومة عند الكثير من السجناء الجهاديين في عدم العذر بالجهل مطلقاً وكفر البرلمانيين بالأعيان وتکفیر الشیعة وکفر المحتاکم، السبب يعود إلى العائدين من العراق والمتاثرين بمناخ الغلو السائد هناك حيث تبنوا حسم كثیر من المسائل. وكذلك بسبب وجود طالب علم كان في أوربا من المتاثرين بأبي أيوب البرقوی منظر جماعة الخلافة التکفیرية في أوربا.

قيادات القاعدة لم تدخل في هذا الجدل العقائدي وإنما كانوا ينطلقون من قضية الجهاد وأن رأية القاعدة هي الأصلية ويحثون الجميع على الالتحاق بالقاعدة، بقي الأمر في السجن على هذا الجو حتى حضرت دعوة (أبو الصادق) وكان فيهم طالب علم متميز ومخضرم لقب (أبو قتادة الصغير) هو أبو حمزة الجفل. أبو حمزة كان في أفغانستان وبيشاور في بداية التسعينات وكان لديه غلو واضح حتى ألف كتاباً بعنوان: *كشف شبهات المقاتلين تحت رأية من أخل بأصل الدين*، الكتاب (كشف شبهات المقاتلين) اعتبر رأية طالبان رأية شركية لأنهم قبوريون وماربريدية وأرادوا الانتساب للأمم المتحدة. الكتاب رد عليه الشيخ أبو قتادة في (جئنة المطبيين) وبعدها أصبح أبو حمزة من المحاربين للغلو بشكل كبير والمتاثرين بأبي قتادة.

38- تربى أبو حمزة على قضايا التوحيد والجهاد منذ نعومة أظفاره وأصبح بارعاً فيها وصنف في السجن عدة مباحث في الفقه الحركي، أخذ على أبي حمزة طريقته في التأليف حيث جاء باصطلاحات جديدة في قضايا التوحيد (التابع والاستقلال) جعلت البعض يصفه بالإرجاء وكفرهم أحدهم.

لم يكن أبو حمزة من تنظيم القاعدة بل كان يوجه له انتقادات عديدة منها: الغلو والتتوسيع بالدماء والترس وعدم وجود منهجية شرعية واضحة له، هذا الأمر أغضب أغلب الجهاديين في السجن لأنه هاجم الأفكار والتنظيمات ولم يوفر أحداً كما يقال، رغم محاربته للغلو بقي يطرح مفهوم الرأية النقية والصادفة متأثراً بأحد مشايخه المعروف بأبي عبد الله المهاجر صاحب كتاب مسائل في فقه الجهاد، دخل السجن حالياً في حرب أفكار ومناهج وصراعات تنظيمية ومنهجية سنتكلم عنها لاحقاً وعن باقي مناخ السجن في الحلقة الرابعة إن شاء الله.

الحلقة الرابعة:

نحن الآن في 2008 وقد اكتملت خريطة السجناء تقريباً والتي شرّحناها في الحلقة الثالثة بشكل مركز، كما قلنا كان السجناء مختلطين مع بعضهم البعض وذلك بعد حادثة البورية المشهورة التي بينها، الفترة من 2006-2008 كانت عصر جحيم العقوبات والمعاملة السادية من قبل قطاعان الشرطة العسكرية. وبعد أن يخرج المرء من دهاليز الفروع الأمنية التي تتعج بها سوريا يظن أنه قد ارتاح لبعض مدة محكوميته ولكن!!

عندما يأتي المعتقل إلى صيانتها يتمنى لو أنه يقي عند المخابرات لسوء ما يلقاه من العذاب والإهانة والله المستعان. تقوم المخابرات بإيداع المعتقل في صيانتها وترسل معه توصية تبين جرمها المنسوب إليه ليكون العقاب على قدر التوصية! أول ما يأتي المعتقل يرحب به جلاوزة السجن في حفلة تسمى (حفلة الاستقبال) حيث يتناولونه من السيارة بكل لهفة وشوق!! يقيد إلى الوراء وتطمس عيناه ليسير بعدها في قطار مشهور بـ(قطار الفرح والمرح) حيث يسحل السجانون المعتقلين سحلاً. يصر السجانون على أن لا يتركوا طابقاً أو درجاً إلا ويمر عليه القطار حيث يهيم المعتقلون على وجوههم المغطاة.

تخيل!! تجري وأنت أعمى مقيداً لا تدري من أين تنهال عليك الكلمات والرفسات وقد تقع على وجهك فيبدأ الرقص عليك! يستمر هذا القطار السعيد! فترة قاسية تحس أنها سنوات ولا توقع أن تمحي من ذاكرة أحد السجناء لقوتها. يحط القطار رحاله أخيراً في الزنزانات (السواليل) وهي تحت الأرض بطبقتين ليظن المرء أن الرحلة قد انتهت، تبدأ مرحلة جديدة حيث يعرى السجين (ربى كما خلقتني) بحجة التفتيش! ولا أدرى ماذا يحمل المرء معه من فرع أمني؟ لتبدأ حفلة جديدة بطلها كل الدبابات حيث تشتهر الشرطة العسكرية بأن كلها من إطار дверей (قشاط: كاوتاشوك مبطن بأسلام معدنية). حفلة الدواليب تكون حسب التوصية وأقل ما يأكله السجين مئة كيلو يلقى بعدها في الزنزانة وحيداً أو بالاشراك. قد يوضع في المنفردة (180 سم طولاً وبالعرض 180 سم) أربع أو خمس معتقلين وأحياناً أكثر حسب عدد المعتقلين الواصلين إلى السجن. في المنفردة مسلسل إيهانات والضرب لكسر النفسيات وتحطيمها حيث يوضع مذيع الغناء الصاخب.

احذر أن تهمس ولو بحرف لأنك ستكون هدفاً لهؤلاء الخبائث ركلاً وضربياً فلا تستطيع أن تكلم حتى جارك في المنفردة. عندما تسمع صوت الأقدام عليك أن تدير وجهك على الحائط وترفع رجلك ويديك وبيداً الضرب والشتائم.

بعد أشهر من هذه المعاناة الشديدة حيث الضرب والشتم والرطوبة والعفن والجوع والبرد والخوف ينقل المعتقل إلى الأجنحة. هناك في الأجنحة تبدأ معاناة جديدة حيث يفرز السجناء إلى: عزل أول وعزل ثانى وجناح محكومين.

العزل الأول هم من الذين أنهوا العقوبة في المنفردات ولم يعرضوا على المحكمة وأما العزل الثاني فهم من يكونون قيد المحاكمة. عند كل جناح مفرزة من السجانين وكرسي للدواليب حيث يحشر الموقوفون في مهجر واحد وكأنه منفردة جماعية. لا كهرباء في الأجنحة والماء بالقطارة ويقاد بيل الرمق والطعام غير قابل للاستخدام البشري. وأما الماء الساخن فهو أشبه بالمحال!!

يضطر السجناء وبعد رشاوى طائلة وبالمVASيات حتى يسمح لهم بشراء ما يسمى (ندوة خارجية) ليقتاتوا من خلالها. جندت إدارة السجن الجوايس والقضاءيين العسكريين للتجسس على السجناء الإسلاميين حيث يتم نقل كل حركة. يمنع جلوس أكثر من اثنين سوية فضلاً عن الصلاة العلنية والجماعية تحت طائلة النزول إلى المنفردات والعقاب الشديد. لكن الأقسى من كل هذا إخواني هو الشتم لله ولرسول الدين والعرض حيث يتفنن السجانون أخذاهم الله بذلك.

كل شيء هين إلا إذا سمع المسلم عبارات الشتم لله والرسول فلا يكاد يطيق العيش أبداً وتهون الحياة كلها ولا يقع ذاك الشتم، أخذ السجن يغلي غلياناً شديداً كالمرجل مع توقف إخراج السجناء من السجن وتعطيل المحاكمات الوهمية.

من العجائب أن تفتح دعاوى داخل السجن ضد الإسلاميين بتهمة تشكيل تجمعات داخل السجن تضاف إلى تهمهم الأصلية. أبرز الدعاوى الداخلية دعوى الـ 33 بتهمة أداء صلاة الجمعة وتوزيع المال على الفقراء والمحاجين من السجناء. مصادر قوة السجناء كانت هي الصبر والصلوة وتلاوة القرآن وأذكار الصباح والمساء وروح الأخوة ووحدة الآلام والمصائب.

السجن هو المدرسة اليوسفية فعلاً ويسعى السجين إلى التزود بالعمل الصالح واكتساب ما يقدر من العلم والمعرفة واغتنام الفراغ في الوقت. كانت المصايف ممنوعة وكان السجناء يتسابقون في حفظ القرآن تلقياً من الصدور ولهم دوي كدوى النحل. بلغت المنافسة بين السجناء في مراجعة ما يحفظون أن قرأ أحدهم المصحف في تسع ساعات وبشكل عادي خمسة أجزاء يومياً للكثيرين.

كانت الكتب ممنوعة وفعلاً كما قيل: فالعلم ما دخل معك السجن والحمام وما عبر بك الوادي وعمر بك النادي وما كان حبيس الصدر.

نتيجة لعدم توفر المراجع ظهرت كراسات مكتوبة متنوعة في السجن تعين السجناء على تعلم العلوم الشرعية والعربية.

ظهرت عدة أبحاث ومناهج في السجن منها ما كتبه أبو طلحة الهولندي (المصطلحات الأربع) وفيه تجسيد لعدم العذر بالجهل. بربت نبرة الغلو من خلال بحثه السابق ولكن الحق يقال فلقد تراجع الرجل في آخر سجنه وضبط أقواله على منهج السنة.

ثم صنف أبو حمزة الجفل مباحثه العقائدية والتي أثار بعضها جدلاً واسعاً وبالإجمال لاقت رواجاً عند البعض لما تمثله من منهجة وترتيب. استطاع الجفل أن يقرب منه طبقة من الشباب المثقفين الحريصين على طلب العلم والذين قاموا بتبني مباحثه ونشرها.

بدأ تنازع الاتهامات بين السجناء فهذا غال وهذا مرجع!!، وبدأت الردود المتبادلة بين الاتجاهات المختلفة. البعض وقف على الحياد وقرر أن لا يسمع هذه النقاشات التي لم يسمع مثلها في حياته حتى يخرج ويبحث. بعض المشايخ اعترض على طريقة كتابة هذه المناهج بأن كتب العقيدة المشهورة لا تحوي هذه التفصيات التي يتداولها السجناء. كانت وجهة هؤلاء المشايخ ومنهم الشيخ سمير وأبو العباس أن السجناء أدخلوا في العقيدة ما ليس منها علينا العودة لصفاء العقيدة.رأى أبو العباس أن المشكلة هي في التدني الرهيب في مستويات التربية والأخلاق فكان يدرس مدارج السالكين وكان يلقبه البعض بـ(ابن القيم الصغير).

لم يسمع السجناء نداءات المشايخ واستمر الجدل والتقييد والرد والرد على الرد ودخل السجن في متاهة السجالات الفكرية. كيف أثرت هذه السجالات الفكرية على الدعاوى التنظيمية وبالعكس، وكيف انطلقت شرارة (ربيع صيدنايا) تابعونا في الحلقة القادمة.

الحلقة الخامسة:

نحن الآن على اعتاب ربيع صيدنايا وشاء الله أن تأتي هذه الحلقة في نفس التاريخ الذي تفجر فيه الربيع في 27-3-2008 قبل سبع سنوات تماماً.

تكلمنا عن المعاملة القاسية التي كان يتعرض لها السجناء من السجانين، وكيف كانوا يجاهرون بسب الدين والرب دون أن يرجوا لله وقارا. وذكرنا واقع السجناء بين الإخوة والأمل وبين النزاع والخلاف والألم من جهة أخرى ووعدناكم بالحديث عن أثر الخلافات الفكرية والتنظيمية بينهم، فأما السلفيون الدعويون فقد كانوا ينظرون للجهاديين بكل أصنافهم نظرة عدم الثقة والطيش وقلة العلم والوعي وحداثة السن كما هي نظرتهم الأن. وكان ينظر الجهاديون لهم أنهم مرحلة ابطاحيون متميعون لأنهم يعتبرون طواغيت العرب مسلمين وكانت هناك هو رغم وجود علاقات عامة بين الفريقين.

ولحساسية النقاشات وأثرها على تفريق الصف فقد أصدر بعض المشايخ فتوى بحرير الجدل نظراً لآمالات الفرق والشقاقي والتزم بها حزب التحرير فقط.

كثير من الدعاوى كان يحصل داخلها نزاعات بسبب الاعتقالات حيث يتم تبادل الاتهامات حول اعترافات السجناء على بعضهم حتى وصل الأمر لإقامة محاكم شرعية.

للتنبيه: فمن خلال الاستقراء فإن أكثر من 90% من الاعتقالات في صفوف الإسلاميين بسبب اعترافاتهم على بعضهم وليس بسبب شطارة المخابرات، وأنتهز الفرصة بضرورة بث مسألة تحريم الإلقاء بمعلومات تضر المسلمين لأن هذا من الخيانة ولا يُحل الضغط إعطاء هذه المعلومات للكفار وال مجرمين.

كما قلنا كانت هناك عدة دعاوى للقاعدة ولقد ظهر جلياً حجم الاختراق الهائل من قبل المخابرات السورية للإسلاميين والجهاديين ومنهم القاعدة. كان بدران الملقب بالحجي أو أبو عبد الله أمير الحدود على تواصل مباشر مع فرع فلسطين وقد سلم المئات للنظام والأمر موثق ومؤكد ومنهم عدة أمراء كبار، للعلم فإن بدران من قرى القائم في العراق وكان عضواً

نشيطاً مخلصاً في التنظيم لكنه حديث عهد بالتزام بعد احتلال العراق. معلوماتنا تؤكد أنه تم تجنيد بدران بعد اعتقاله في فرع فلسطين عام 2005 وتهديده بأهله وإغرائه بالمال حيث خرج بصفقة ليخترق التنظيم بعدها أحد المعتقلين من كان في العراق أخبرني بأن التنظيم هناك كانت على علم بهذا الاختراق بسبب وصول رسائل لكن بقيت محل شك من قبل قيادات التنظيم، السبب في ذلك الثقة التي نالها بدران بعد إدخاله الزرقاوي إلى حلب للعلاج بعد إصابته عام 2005 ونقل لي أنه دار نقاش بين الزرقاوي وأبو حمزة المهاجر، رفض الزرقاوي رغم شكوك أبو حمزة المهاجر به اعتقاله متذرراً أنه لو كان بدران عميلاً لقائماً بتسليمي أثناء علاجي للنظام حيث أعتبر صيد ثميناً.

لم يظهر في زمن الزرقاوي أي أماراة على اختراق التنظيم واستمر توثيق بدران في العمل وحسن الأمر لصالح براءة بدران واستمر هذا الأمر حتى عام 2008، كانت اللعبة بين بدران والمخابرات السورية تقضي بالسماح (للاستشهاديين وبعض المقاتلين) بالعبور وتسليم السوريين والكوارد من المهاجرين.

النظام كان يريد استمرار العمليات التفجيرية في العراق ليبقى الوضع مرتبكاً هناك تأثيراً لضرب سوريا مع اعتقال السوريين والكوارد، تحول التنظيم إلى دولة والتي أرسلت أميراً جديداً لسوريا أولى مهامه التأكد من ملف بدران لكن بدران استطاع الإيقاع به وتسليميه للنظام عام 2007.

أرسل بعض الأمراء رسالة من داخل السجن لقيادة الدولة تثبت تورط بدران باعتقالهم وهنا تحول الشك إلى يقين حول عمالة بدران أوائل عام 2008، خطورة بدران أنه من عام 2005 نسج شبكة معقدة من العملاء والتواصلات والداعمين للجهاد بالمال والرجال لم تستطع الدولة تقطيعها حتى أواخر عام 2010، جنى بدران ثروة هائلة من المال تقدر على الأقل بـ 5 مليون دولار حسب أحد المصادر المقربة منه وكان يتقاسمها مع المخابرات السورية، طبعاً بدران تم قتله أو اختطافه بعد أن كشف أمره للعلن في عملية إنزال القوات الأمريكية عام 2008 في منطقة السكرية من ريف البوكمال في دير الزور، استمر أعون بدران من أقاربه وغيرهم بالعمل كعملاء للنظام ومع الدولة حتى كشف أمرهم وتقطعت الخيوط كاملة عام 2010 كما ذكرنا.

ظهرت التباينات داخل صفوف السجناء من القاعدة حول من هو الذي يمثل القاعدة فكل جناح يدعى أنه هو القاعدة والأخر دخيل عليها، الفلسطينيون بقيادة أبي حذيفة الأردني رفيق الزرقاوي يعتبرون أنفسهم هم الممثلين الشرعيين للقاعدة ولا يقبلون الانضواء تحت قيادة أخرى و كان الفلسطينيون قوة ضاربة ومنظمة ولكن أخذ عليهم التعصب لبعضهم البعض والسعى لإسقاط كل مخالف لهم بشتي الوسائل.

كان هناك جناح آخر للقاعدة يمثل الجناح الحلي بقيادة زكريا عفش الذي يدعى جناح الفلسطينيين أنه انشق عن التنظيم والتحق بجند الشام، وكان هناك مجموعة من عناصر القاعدة كانت تقف على الحياد وتحاول التوفيق بين المحاور لكن حسن الأمر لصالح تيار أبي حذيفة الأردني الفلسطيني، أبو حذيفة الأردني كان له رمزية عند أتباع القاعدة كسبها من تعينه أميراً للأنبار في التنظيم وكونه رفيق المقدس والمقدسي والزرقاوي في سجن الأردن.

عندما بدأ أبو حمزة الجفل نشر مباحثاته واصطدم مع شباب القاعدة بدأ الخلاف يأخذ بعداً عقائدياً بعد أن كان تنظيمياً وبدأت تظهر ردات فعل، أخذ قسم من العناصر يتبنى مسائل ليست من عقيدة التنظيم أصلاً كنوع من التمييز عن منهج أبي حمزة مثل تكفير قيادة حماس وأعيان البرلمانيين والمحاكمين.

أقف عند هذا الحد في هذا المضمار لأنتابع هذا الموضوع لاحقاً ولكنني سأتكلم الآن عن أحداث ربيع 2008-3-27. بلغت النكمة لدى السجناء مبلغاً كبيراً وأصبح الموت أرحم من الذل والهوان والعناد وبدأ السجناء يتحدثون فيما بينهم عن سبل الخلاص، بلغ استهثار العساكر وازدراؤهم بالناس أنه كان عسكري واحد يسوق عشرات المعتقلين ويسموهم سوء العذاب دون أن يلاقي أي اعتراض.

في مساء 26-3-2008 والصمت يخيم في السجن والسجناء داخل المهاجع وإذا بالسجانين يدخلون جناح (ب) يسار لإزال بعض المعتقلين إلى المنفردات عقوبة، بعد إزال السجناء إلى المنفردات قام رئيس الجناح من حزب التحرير وأخرون بالمطالبة بإخوانهم فقام العساكر بإزال المطالبين إليهم وتعذيبهم.

في صباح 27-3-2008 تم إخراج رئيس الجناح والمطالبين من المنفردات إلى الجناح وأبقوا السابقين ورأى السجناء آثار التعذيب الشديد على أجسادهم، قرر الجناح صباحاً أن لا يستلم الطعام حتى يخرج الباقيون من المنفردات فكان ردة فعل المدير النصيري (العقيد علي خيربك) أن دخل إلى الجناح مع قطعانه، بدأ العساكر بإخراج بعض السجناء بشكل عشوائي (لضربهم دولاب) ومدير السجن النصيري يجلس على الكرسي متغرياً مستهزئاً، زاد من حنق السجناء سماهم أصوات الدولاب وصرخ إخوانهم وكان هناك رقيب نصيري اسمه أبوغدير معروف بحقده الكبير على المسلمين، وضع قدمه على رأس أحد السجناء (من دوما) والأخ يستغيث بالله (يالله!) فكان جوابه مستهزئاً (خلي ربك يحيي يخلاصك مني) والدولاب مستمر على الأخ وهو يكبر، كأنك أقيت عود ثقاب في بنزين فإذا بالسجناء المستضعفين تنطلق حناجرم هادرة بالتكبير وإذا بالأبواب تفتح ويخرج السجناء مقتحبين على العساكر، فر العساكر مع مديرهم النصيري كالجرذان وانطلقت شرارة الثورة وتفجر الربيع الذي سنتكلم عنه بالتفصيل في الحلقة السادسة بإذن الله.

الحلقة السادسة:

تحدثنا في الحلقة الخامسة كيف انطلق الربيع وتفجرت الثورة عقب شتم العسكري لله تعالى أثناء ضربه لأحد المعتقلين المستضعفين وهو يستغيث بالله، أثناء (دولبة) الأخ كان مدير السجن بعنجهيته يجلس على الكرسي فاتحاً أبواب المهاجع استهتاراً وإذلال السجناء أنهم عاجزون عن مناصرة أخيهم، كان باب الجناح مغلقاً ومدير السجن والعساكر منتشرون في (كاريدور الجناح) والدولاب تعمل بالإخوة ضرباً مبرحاً وكان الموقف عسيراً.

أصعب ما في الحياة هو الإحساس بالقهرا الذي استعاد منه النبي صلى الله عليه وسلم فكيف وأنت تسمع ربك يشتم ويستهزأ به وأخاك يهان ويذل والعجز يتملكك، في هذه اللحظة تشعر أن بركاناً يثور داخلك والأرض تميد من حولك وتشعر بطاقة جباره تدمر الطغيان وهنا يتتساوى عندك الموت والحياة وتظن أن الأمر خاص بك، لكنك تتفاجأ أن ما يحصل معك هو نفسه الذي يشعر به كل سجين جمعك وإياب القهر والذل فينطلق البركان من اللاشعور وهو غير آبه ومكترث بالعواقب.

انطلق السجناء بالتكبير أولًا في (ال (ب) يسار) على غير ميعاد بينهم (ولو تواعدتم لاختلافكم في الميعاد) فوثبوا على العساكر وخلصوا الأخ وهرب الجنادون، كان الجناح المقابل لل (ب يسار) هو ال (ج يمين) يتربص ويتتابع كل خطوة عبر شبك الجناح ويتشارون بالطريقة المناسبة لنصرة إخوانهم في (ال (ب) يسار)، بمجرد ما انطلقت التكبيرات ودق الأبواب في (ال (ب) يسار) حتى انفجر ال (ج يمين) بالتكبير ودق الأبواب، وتكتل السجناء عند مقدمة الجناح، ولا يفصل بينهم وبين إخوانهم في (ال (ب) يسار) إلا أبواب الأجنحة المغلقة والتي تطل على المسدس حيث تجمع العقيد وزبانيته محاولين التهدئة.

بدأ سجناء (ال (ج يمين) بهز الباب محاولين خلعه في الوقت الذي كان يقوم فيه آخرون برمي العقيد ومن معه بالأحزنة والبندوره والبانجيان فنزلوا، تمكن السجناء بفضل الله من خلع باب (ال (ج يمين) وباعتراف الحداد الذي أصلحه لاحقاً قائلاً لا أصدق كيف خلع هذا الباب وهو يحتاج إلى تركس لخلعه! شئ أقرب للمعجزة وهي في عقيدتنا الكرامات وإذا بالمستضعفين يملؤون الممرات والمسدس متوجهين إلى إخوانهم في (ب يسار) وخلعوا الباب وتلاقي الجناحان، كان مشهداً مؤثراً لا ينسى أن يتلاقي الأخ وشقيقه والأب وأبنه بعد أن فرقت بينهم القضبان لثلاث سنوات ولم يسمح لهم أن يجتمعوا في جناح واحد.

تفاجأت إدارة السجن مما حصل و حاولت تهدئة الأمر دون جدو فلاذوا بالفرار إلى المبني القريب وسلطوا العسكريين

الفارارية للتصدي للسجناء، انقسم السجناء إلى قسمين الأول: صعد إلى السطح والثاني بدأ معركة بالحجارة مع (الفارارية) وهم عساكر معتقلون بتهمة الفرار من الخدمة الإلزامية)، لم تجد محاولاتهم ولا الغاز المسيل للدموع وسيطر السجناء على الطابق الثاني وهرب (الفارارية) إلى الطابق الأول وسقط الطابق 2 وال 3 والسطح كاملا، كان بعض السجناء وخاصة من المحكومين من اعترض على هذه الطريقة وخاف من المآلات لكنهم لم يستطعوا إيقاف هذا السيل الهادر وفتحت جميع الأجنحة، انكسر حاجز الخوف وحصلت الانتفاضة وتفجرت الثورة ويسميه الناس (الاستعصاء) وأحس السجناء لأول مرة بطعم الحرية منذ عقود مديدة، تنسم السجناء نسمات الربيع العربي قبل سنوات من تفجره وكأن الناس في حلم، لحظات لا توصف بعد الاستبداد والقمع حتى لم يكن أحد منا يصدق ما حدث، سارعت أجهزة الأمن إلى محاوطة السجن عبر عدة أبواب أمنية حيث لم تعد الشرطة العسكرية قادرة على ضبط الأمر الذي خرج عن السيطرة.

رفض السجناء كل المحاولات لنزولهم عن السطح ودخول المهاجع مما اضطر النظام لإرسال اللواء سعيد سمور (وهو سني من جبلة) نائب رئيس المخابرات آصف شوكت، لجنة النظام بالإضافة إلى سعيد سمور مؤلفة من ضابط في القصر الجمهوري وممثل عن المخابرات الجوية وأخر عن الأمن السياسي وأخر عن مكتب الأمن القومي، لأول مرة في تاريخ سوريا الحديث يحضر مسؤول رفيع لأجل المفاوضات مع السجناء الإسلاميين وتم تشكيل لجنة من بعض الشخصيات البارزة من السجناء، كانت اللجنة برئاسة الشيخ الجليل سمير البحر (وهو من مدينة جبلة) وكان مقعداً على الكرسي ولكنه كان متوفهاً وصادعاً بالحق لا يأبه النظام، لدرجة أنه قال له عضواً في لجنة النظام متى ستتحول يا بحر إلى نهر!! فرد عليه بكل عزة بل سأتحول إلى محيط هادر يحتاج الظلم والطغيان.

بدأت اللجنة بالمفاوضات وأخذت تشرح معاناة السجناء والقهر والظلم ومنع الزيارات والمحكميات وقلة الطعام والشراب والكهرباء وسوء المعاملة، لكن الأهم في المفاوضات كانت مسألة (حرمة الدين) قال المفاوضون: نحن اعتقلنا لأجل ديننا ولا نقبل أي مساس بديننا وعقيدتنا وربنا ونبينا وصلاتنا.

أفحى أحدهم المفاوض عن النظام فقال: لقد خرجمت في سوريا مظاهرات بسبب الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي يشتمن فيه الله جهراً!

أحرس المفاوضون لجنة النظام الذين أحسوا بمشروعية المطالب وقال سمور لأول مرة نحن نطلع على واقع السجناء وأنا مثل الرئيس مباشرة ونعرف بتقسيمنا، شاء الله أن تنفجر أحداث ربيع صيدنايا في وقت انعقاد القمة العربية في دمشق عام 2008، مما شكل ضغطاً على النظام الذي اندهش من التوقيت.

تعهد سعيد سمور بتلبية كل مطالب السجناء المشروعة واعتبر في تقريره أن الشرطة العسكرية ومدير السجن (علي خير بك) هم المسؤولون عن الذي جرى. أثناء المفاوضات أراد (علي خير بك مدير السجن) الكلام والدفاع عن نفسه فأخرسه سعيد سمور قائلاً له (كل البلا منك) وكانت إهانة له أمام السجناء، طلب سعيد سمور من السجناء العودة إلى المهاجع والنزول من على السطح ووعد بأن يلبي كل الطلبات بالسرعة القصوى وقال أنا أكفل لكم ذلك شخصياً.

أحسست لجنة المفاوضات بجدية سعيد سمور ووافقت اللجنة على الدخول إلى الأجنحة بشرط بقاء أبواب المهاجع مفتوحة وإغلاق أبواب الأجنحة فقط.

تم إقناع السجناء بالنزول من السطح والدخول إلى الأجنحة رغم سجالات واعتراضات كثيرة خشية الغدر والخيانة من إدارة السجن، لم يكن لدى السجناء خيار آخر واقتنعوا بالدخول للأجنحة قائلين إن غدرنا بنا سنعيد الكَرَّة ونخلع الأبواب من جديد بعد أن كسر حاجز الخوف..

بقيت المهاجع مفتوحة ثلاثة أيام كان السجناء يتناوبون بالحراسة واحتللت مشاعر الفرح مع التوجس وترقب المجهول خشية الغدر والخيانة، أحس السجناء بتغير ملحوظ إيجابي في معاملة السجناء وبدأ شعور الخوف من الغدر يتبدد مع الأيام

وتزداد الطمأنينة مع تحسن المعاملة، فتوقف شتم الله والتعريه أثناء النزول للمحاكم و المشافي وإخراج جميع من في المنفردات إلى الأجنحة وتم عزل الرقيب (أبو غدير) تلبية لمطالب اللجنة، أخذ السجناء يجهرون بالأذان ويقيمون صلاة الجمعة جهراً وأمنّت المصاحف للسجناء وسمح بشراء الخضار والمواد الغذائية من الخارج وفتحت الزيارات بين الأجنحة، وبدأت إرهاصات تسريع المحاكم وتم طرد الجوايسس والقضاءيين من داخل مهاجع الإسلاميين وتنفس السجناء الصعداء، أحس السجناء بطعم الحرية وتنشقوا نسائم العزة وأصبح السجين الإسلامي يعتز بيته بعد أن كان مقهوراً وانقلب السجانون أذلاء صاغرين.

وصلنا الآن إلى تاريخ 1/6/2008 حيث وفّي سعيد سمور بوعده بفتح زارات الأهالي للسجناء جميعاً وسط فرحة عارمة وشعور بالانتصار.

في الحلقة القادمة نتكلم عن الفترة ما بعد الزيارات حيث اتسمت هذه الفترة بما يطلق عليه في السجن مرحلة (الفوضى الخالقة).. تابعونا..

الحلقة السابعة:

الحديث عن فترة بعد 1-6-2008 والفوضى الخالقة.

تكلمنا في الحلقة السادسة عن الربيع والانتصارات الكبيرة التي تحققت بعد ثورة السجناء و كسر حاجز الخوف وكيف بدأ جني المكاسب، تتوجت الانتصارات والاصلاحات بفتح الزيارات في 1-6-2008 لجميع السجناء بعد أن كانت ممنوعة إلا عن المحكومين وبرشاوي وترتيبات معقدة، الشرطة العسكرية وإدارة السجن متمثلة بالنميري العقيد علي خير بك أحسوا بأنهم وقعوا ضحية لجنة النظام المرسلة من قبل بشار الأسد. كان الصراع على أشدّه بين ما يسمى الحرس القديم متمثلاً بأصف شوكت رئيس المخابرات العسكرية وآخرين و الحرس الجديد متمثلاً ببشار الأسد.

استغل بشار قضية السجن ليلاوي ذراع المخابرات العسكرية حيث كان كل فريق يريد أن يضحي بالآخر في قضية محكمة الحريري، أخذ بعض السجناء يتمادي ويتجاوز في وقت الزيارات أو التنفس أو التنقل من جناح إلى جناح ووصل الأمر لدرجة إهانة السجانين وربما ضربهم، وصل الأمر إلى درجة إهانة العساكر أمام الأهالي ورفض العودة إلى المهاجع والتنقل من جناح إلى جناح دون مراعاة لأنظمة السجون المعروفة، طلبت إدارة السجن من السجناء الالتزام بنظام السجن وعدم تجاوز السقف المطلوب وبلغت لجنة المفاوضات بهذا الأمر مهددة بـ(الفوضى الخالقة).

هدد (خيربك) بالفوضى الخالقة قائلاً للجنة: لن ألزم السجناء بشيء ولكنني سأقوم بتصوير المخالفات وإرسالها للقيادة لوضعها بصورة الأمر، كان خير بك قادرًا على ضبط الأمور ولكنه أرخي الحبل تمهدًا للانتقام وأحسست لجنة المفاوضات بأن هناك مقلباً ومؤامرة خبيثة تحضر للسجناء، ترك خير بك السجن يعيش في فوضى يسميها بالخالقة طالباً من لجنة المفاوضات ضبط الأمور وكان مقصده ضرب اللجنة بالسجناء.

بدأت حملة إسقاط لجنة المفاوضات بحجّة أنها أصبحت هي إدارة السجن مع أن الهدف كان حماية المكتسبات التي حققها السجناء بعد ربيع 3/27.

بدأت لجنة المفاوضات حملة توعية للسجناء بالمؤامرة التي يحيّكها على خير بك واستغلها الخبيث نفسه ليقول للقيادة هؤلاء لا يسمعون حتى لمشايخهم! أصبح السجن وكأنك في سوق أو خان يخرج السجناء متى يريدون ويعودون متى يريدون ولم يعد هنالك أي نظام حقيقي في السجن.

أسكنت نشوء الربيع الكثير من أخذوا يفكرون في ما بعد السجن وحصلت الفوضى الخالقة التي بشر بها (خيربك) وأخذ يرفع التقارير والفيديوهات للقيادة، كانت السمة العامة لثورة 27-3-2008 هي الشعبية بعيداً عن الأدلّات والمناهج لرفع

الظلم والقهر والاستعباد ولذلك حافت الكثيرون على المكاسب.

كان الجهاديون مثلهم مثل باقي أطياف الثورة ولم يتميزوا عن باقي المشاركون بل ربما تأخر بعضهم عن اللحاق بركب الثورة لاعتبارات عديدة.

بعد رؤية هذه المكاسب الثورية بدأ الجهاديون يتقدرون المشهد في السجن وأخذت أنظارهم تتجه خارج السجن، قالوا طالما أن الوضع بهذه الطريقة فمن الممكن تحين الفرص والتخطيط للهروب من السجن لإكمال مسيرة العمل الجاهادي في الخارج.

بدأت تتشكل تحالفات جديدة وتحزبات وتكتلات بغية تنسيق العمل والدفع بالأمور بهذا الاتجاه الخطير ولكنها بقيت محصورة في نطاق ضيق، بدأت تتسع الهوة بين عوام السجناء ومن يهمهم تحسين ظروفهم الحياتية ريثما يخرجون وبين البعض منمن بدأ يفكر بعيداً خارج السجن، كثرت الإجتماعات بسبب انسابية التنقلات بين الأجنحة وبذلت الأمور تفاعلاً شيئاً فشيئاً وتصدر المشهد هنا أبو حذيفة الأردني، كان أبو حذيفة الأردني في سجن عدراً ومحكوماً (15 سنة) وتم سحبه إلى فرع فلسطين مع مجموعة سجناء على رأسهم (المدعو نديم بالوش).

المدعو نديم بالوش من اللاذقية وهو شخص مثير للجدل تحول لاحقاً إلى عميل لاصف شوكت وسيأتي تفصيل ذلك والآن مبایع لداعش.

سبب تحويلهم هو أن قام بالوش بإدخال جوال عبر رشوة أحد السجانين ثم كشف أمر الجوال فقاموا بعقوبتهم وتحويلهم لصيدنaya في 4-10-2008، تم كشف أمر الجوال عندما قام أبو حذيفة بالاتصال بأحد قيادات التنظيم في العراق الذي كان هاتفه مراقباً من قبل الأمريكان، قامت المخابرات الأمريكية بإبلاغ النظام السوري أن هناك إشارة اتصال خرجت من منطقة عدراً إلى أحد الهواتف المراقبة من قبلنا في العراق، قامت المخابرات السورية بمراقبة الاتصالات التي تخرج من سجن عدراً وعلموا أن الشخص الوحيد الذي يمكن أن يتواصل هو أبو حذيفة، قاموا بتفتيش المهجع فجأة وعثروا على الجوال وفتحوا تحقيقاً في ذلك انتهى بمعاقبته وإحالته إلى سجن صيدنaya العسكري (سركلة)، بدأ أبو حذيفة الأردني يجمع حوله من كانت تهمته قاعدة العراق وكان أغلبهم من الفلسطينيين الذين تحدثنا عنهم سابقاً، ذكر أبو حذيفة كلمة خطيرة تبين فقه المصلحة عند تنظيم الدولة بأنه لا مانع من مقتل 200 سجين مقابل إخراج 15 قيادياً من الأسر، أثارت هذه الكلمة حفيظة الكثيرين وطالبوها بمحكمة شرعية لأبي حذيفة وتصدر المطالبين شخصان هما: أبو خالد الكندي وأبو حمزة عتابة.

عقدت محكمة لأبي حذيفة في المهجع الأول من ج 3، حيث أنكر بذلة وتفاجأ بإدخال الشهود مما اضطره للإقرار واستغفر الله وتاب من ذلك الفعل، تم التستر على هذا الأمر خوفاً على سمعة التنظيم مما اضطر المخططين لـإلغاء فكرة الهروب من السجن في حينها.

أخذت الخلافات التنظيمية والمنهجية تطفو على السطح أكثر وأخذ يحاول كل طرف الاستفادة من الربيع لمصلحته التنظيمية الخاصة، من ضمن الجهاديين اتهم فريق القاعدة تيار أبي حمزة الجفل (الجفلين) بأنهم يدعمون الجيش الإسلامي في العراق، تم نقل صراع الساحات إلى داخل السجن بين الجهاديين أنفسهم وتقاذف الاتهامات بين مرجةة الجهاد(الجفلين) والغلو(قاعدة العراق)..، تاه عوام السجناء البسطاء في سوق المناهج والأدلّات حيث يحاول كل فريق استقطاب ما يمكن استقطابه من هؤلاء العوام المساكين!!

من المؤكد حصول تعاهدات وبيعات سرية بين البعض من الجهاديين لضمان استمرار التنظيم في الداخل والخارج، استغل خير بك مع قيادة الشرطة العسكرية هذا الوضع المضطرب وتحقق الفوضى الخلاقة التي بشر بها الخبيث منذ أسبوع، استطاع خير بك أن يقنع مكتب الأمن القومي بأن الإسلاميين لا يستحقون الاصلاحات ولا بد من سياسة الحزم، أرسل على خير بك تقارير كثيرة إلى الأمن القومي يبين فيها بالصور والوثائق الفوضى العارمة التي أصبح يعج بها السجن،

خوف خير بك قيادته من نوايا السجناء الهجوم على إدارة السجن وقال لهم أنه يضعهم بخطورة الموقف الذي لا تحمد عواقبه.

في خطوة لتصعيد الموقف قام خير بك بتجهيز باب ثانٍ لك كل جناح قائلاً بشكل علني لن نستطيع إيقاف العصيان القائم، مهمة الباب الثاني حسب كلام خير بك هو تأخير الثورة والعصيان لمدة ربع ساعة لكي يتتسنى له فيها الهروب من السجن فقط.

هذا الأمر أثار القلق في نفوس الكثرين، وعزز فكرة ثورة جديدة ورسخ النسوة عند آخرين الذين ازداد عندهم اليقين بالنصر، بثت إدارة السجن إشاعة بأن هناك عفو شامل سيحصل في الشهر السابع 2008 ولذلك فلا حاجة لضبط السجناء لأن وقت الخروج قريب.

كثرت الكلام عن 17-7-2008 ذكرى استلام بشار للسلطة وكل ما تتكلم بأمر أو تطلب طلب من السجن يقولون لك (مو حرزاتة) أيام وتنتهي، أثار هذا الأمر تفاؤلاً لدى البعض وقلقاً لدى القليل من السجناء الذين أثار حفيظتهم تكرار هذا الموعد بشكل مريب يبعث على الحذر، طبعاً أخذ بعض السجناء احتياطياتهم وتجهزوا للأسوأ واتفق الجميع أن مجرد سماع أصوات التكبير يعني إشعال الثورة من جديد، كانت كلمة السر للسجناء هي سماع أصوات التكبير وبمجرد سمعها يعني أنه حصل الهجوم فعلى باقي الأجنحة المؤازرة، ليلة السبت 5/7/2008 شوهدت سيارات كبيرة تدخل إلى داخل السجن ولكن لم يشاهدوا إلا الجناح المطل على باحة السجن، في نفس الليلة حضر العساكر وأخذوا يتقددون أبواب المهاجم مع سماع أصوات طقطقة لأفعال جديدة، في صباح 5-7-2008 الساعة السادسة كنت جالساً في المهجع بعد صلاة الفجر أقرأ أذكاري وأغلب الإخوة نیام، فجأة وإذا بنا نسمع أصوات تكبير وكذلك أصوات دق عنيف للابواب أيقظ النیام وصوت ركض شديد في الأجنحة، نحن الآن على وشك انفجار هائل في السجن يفوق ما حصل في الربيع إنه انفجار 5-7-2008 وبداية الثورة المسلحة الذي سنتكلم عنه في المرة القادمة

الحلقة الثامنة:

تكلمنا سابقاً عن الإرهاصات التي سبقت اندلاع الثورة المسلحة في 5-7-2008 والتي عبرنا عنها بمرحلة الفوضى الخلاقة التي استُجْرِي لها السجناء، استطاع العقيد علي خير بك مع قيادة الشرطة العسكرية أن يستصدر أمراً من مكتب الأمن القومي بتأديب السجناء الخارجين عن النظام حسب زعمه!، كانت الخطة المرسومة تقضي بتحويل السجن إلى سجن تأديبي رهيب للأغالية وتحويل 300 سجين إلى سجن تدمر المغلق منذ سنوات، طبعاً تفاصيل هذه الخطة عثر عليها في مكتب مدير السجن لاحقاً مطبوعة وتحوي تفاصيل كاملة لخطة تأديب السجن ومصادقة من قبل مكتب الأمن القومي.

تنص الخطة على وضع عشرة سجناء فقط في كل مهجع وتربيتهم من الخلف بقيود بلاستيكية (أمريكية) أحضرواها معهم وذلك لسهولة السيطرة عليهم، وبعد ذلك يمنع السجناء من الطعام والماء لمدة ثلاثة أيام وبعدها يرش الطعام على بلاط المهجع وينحنى السجناء كالدجاج لنقر حبات البرغل والرز!! طبعاً والدوالib ستعمل ليل نهار ويبقى هذا الحال لمدة أقصى ستة أشهر خلالها يخفف مدير السجن كما يريد حسب تحقق نجاح التأديب، كذلك تتضمن الخطة قراراً بوقف الزيارات أثناء العقوبة ونزول المحاكم وفتح دعاوى جديدة لأعمال الشغب كما يسمونها في 27\3\2008 .

في صباح 5-7-2008 وبعد صلاة الصبح دخلت أعداد هائلة من الشرطة العسكرية حوالي 3000 عسكرياً دخل منهم إلى داخل السجن 1600 عسكري، تم حشد هذا العدد الهائل لكي يتم الدخول إلى الأجنحة في وقت واحد ومتزامن لمنع مؤازرة السجناء لبعضهم البعض ولضبط أي طارئ محتمل، بالفعل تم تخصيص 200 عسكري لكل جناح تقريباً وبدؤوا بالدخول إلى المهجع الأول من كل جناح ومعهم الهراوات والقيود وهنا حصلت مفاجأة كبرى!

فلم يقتصر الاعتداء على المعتقلين، بل تم انتقاماً من السجناء بحسب التهديد النفسي للغدر والانتقام المحتمل حيث اشتبك السجناء مع العساكر وبدؤوا بالتكبير ودق الأبواب، استجاب السجناء للتكبر حيث هو كلمة السر فأخذوا يكبرون جميعاً وعلا صوت دق الأبواب وحدث أمر غير سير المجريات على أرض الواقع!!، توجه السجناء إلى أبواب المهاجع محاولين خلعها مستعينين بباب الحمام ولكن دون جدوى وهنا انقدحت في بال أحدthem فكرة رهيبة!! خلال هذه اللحظات العصيبة حيث يتوقف الزمن وترى الموت أمام عينيك والقتابل الدخانية ترمي داخل المهاجع ومع فشل خلع الباب تم الآتي:

نظر السجناء إلى أضعف نقطة في المهجع فوجدوها في الجدار فبدؤوا تكسير الجدار الذي لم يصمد طويلاً حتى انهار قسم منه أمام ضربات البواري، تم إحداث فوهة في الجدار الأخير المطل على الجناح وكل مهجع فتح فوهة إلى الآخر فالثاني فتح على الثالث، والثالث على الرابع وهكذا حتى العاشر، أما المهجع الأول فكان الضرب والتذيب يعمل بهم حسب الخطة، ولكن بعد فتح الفوهات بين المهاجع أصبح الجناح كتلة واحدة ماعدا المهجع الأول. استغرق فتح الفوهات 15 دقيقة بعدها خرج السجناء من الفتحة الأخيرة المطلة على الجناح وقاموا بالإلتلاف على العساكر وهم يحملون العصي والبواري.

تم محاصرة أغلب العساكر الموجودين الذي وقعوا ضحية الحرب النفسية التي رهبتهم بها النظام من أن هؤلاء السجناء تكثيريون وقتلة!!، وقع في قبضة السجناء حوالي 1250 عسكري كأسرى بينهم ضباط ورقباء ومساعدين كان من أبرزهم ضابط أمن السجن الرائد منذر وهو نصيري، كذلك المقدم مدين من الشرطة العسكرية وأربعة صف ضابط برتبة مساعد أول ومجموعة من الرقباء أبرزهم الرقيب النصيري ربيع الملقب (الضفدع).

أخذ السجناء بعض الجوالات من الأسرى وقاموا بالاتصال بالقنوات والإذاعات المشهورة ومن أبرزها اتصال الأخ الحموي وأائل الكبيسي مع BBC. وقع المحظور في عرف النظام الحديدي ومرغ أنفه بالتراب وسقطت هيبه وانتقل الصراع ليصبح على سمع العالم وبصره في حالة تاريخية نادرة. حاول النظام أن يعيي السيطرة على الوضع واستجلب قوات مكافحة الإرهاب (باس أسود) التي حاولت اقتحام السجن من جديد وضبط السجناء مرة أخرى. تصدى بعض السجناء وجهم من الجهاديين لهذه المحاولة وأفشلواها وأوقعوا إصابات خطيرة في صفوف المهاجمين الذين ردوا على أعقابهم.

أمطر النظام السجن بالقتابل المسيلة للدموع بشكل هائل مما اضطر السجناء للصعود إلى السطح خوفاً من الاختناق، بعد فشل النظام في ذلك بدأ بإطلاق النار بشكل عشوائي في الطابق الأرضي وعلى السطح مما أوقع بداية ستة شهداء من الإخوة السجناء، كان من أبرزهم ذكرييا عفش (حلب) وعبد الباقى قطب (بنش)، ومجد مجاريش (درعا) وأبو هاجر مهند (دير الزور) وسائل الخوض (الزیدانی) رحمهم الله. هنا تحول السجن إلى خلية نحل بين مسعف ومقاتل وراصد وإعلامي ومغيث وخدمي ومطعم لأخيه الكل يحضن الكل، وزابت كل الخلافات. كان الرعب والهلع مسيطرًا على الأسرى خوفاً من قتلهم كما كانوا يغسلون أدمنتهم ووصل الأمر إلى درجة البكاء والصرخ والعويل والإستغاثة. أرسل النظام تعزيزات عسكرية وضرب عدة أطواق أمنية وقام بقطع الاتصالات الخلوية ووجه الدبابات باتجاه السجن، وقع أكثر من خمسين جريحاً من السجناء من بينهم حوالي العشرين إصاباتهم خطيرة جداً في الرأس والبطن والصدر، استمر اطلاق الرصاص كزخ المطر على السجناء واستخدمت مضادات الطيران وبدأ الطيران الحربي بالتحليق فوق السجن.

هنا انقسم السجناء إلى قسمين قسم نزل إلى الطابق الأرضي بعد تحريره وفيه مكتب مدير السجن والملحق الإداري وكله تمت السيطرة عليه، وقسم آخر صعد إلى السطح وأخذ معه العساكر والضباط هروباً من الغازات وللضغط على النظام لوقف رمي الرصاص الحي على السجناء، من شدة الهلع قرر بعض العساcker القفز من على السطح وسقطوا جثثاً هامدة بعد ملامسة الأرض بسبب التكسر والرضوض، كان هناك ضابط نقيب اسمه عماد طلاس قال أنزلوني مع الشيخ سمير وأنا أوقف رمي الرصاص عليكم ووافقنا على ذلك، كان في ساحة السجن بالخارج ممثلين عن المخابرات والشرطة العسكرية وقوات مكافحة الإرهاب وأثناء كلام الشيخ سمير مع العميد حسن دياب، حدث خلاف بين المخابرات والشرطة العسكرية

أدى لاشتباك بالذخيرة الحية بينهما وهنا هرب حسن دياب وأسر الشيخ سمير بعد أن سُحل على الأرض. أثناء الاشتباك بين جنائي النظام استغل بعض السجناء من الطابق الأرضي الموقف وخرجوا مسرعين إلى ساحة السجن وحدث اشتباك بالأيدي مع قوات النظام، بعد نهاية الاشتباك قسم من السجناء أُسر وقسم عاد للطابق الأرضي وأغلقت الأبواب بإحكام منعاً من اقتحام السجن من جديد.

هنا نادى الشيخ سمير وهو مأسور عبر مكبرات الصوت السجناء مطالباً بتسليم الأسرى حقناً للدماء وكان صوته متالماً وغير راضٍ. فهم السجناء حالة الشيخ سمير وهدد أحد أعضاء اللجنة (التي شكلت لاحقاً) العميد نعمان الخطيب قائد الشرطة العسكرية بأنه إذا لم يتوقف الرصاص، سيتم قتل الضباط ورميهم من السطح وهنا أخذ النظام الأمر على محمل الجد وأرسل لجنة جديدة للمفاوضات من قبل بشار مباشرة، هنا هدأت الأمور وتوقف رمي الرصاص والغازات وطلبوها منا تشكيل لجنة للمفاوضات مع النظام وكانت لجنة سداسية، حضر وفد كبير من قبل النظام بقيادة اللواء منير أدنوف نائب رئيس هيئة الأركان مع العميد حسن دياب رئيس فرع المنطقة للملمة الموقف المتفجر، هنا وصل الوقت قرابة الظهر والسجن أشبه ببناء متعرض لهزة أرضية: الأبواب مخلوعة والجدران متصدعة والتواخذ مكسرة ولم يبق شيء مكانه، وصل عدد القتلى حتى هذه اللحظة إلى 20 آخ كلهم من الإسلاميين وعدد الأسرى من السجناء إلى 30 أسيراً بعضهم جرحى، نقف هنا حيث بدأت مرحلة جديدة هي مرحلة المفاوضات التي سنتكلم عنها بشكل مفصل في الحلقة القادمة إن شاء الله.

الحلقة التاسعة:

تكلمنا في الحلقة السابقة عن اندلاع الثورة المسلحة في 5/7/2008 بعد أن قامت الشرطة العسكرية بمداهمة السجن بغية التأديب كما زعموا، نتج عن هذا الهجوم 20 شهيداً من الإخوة السجناء وأسر أكثر من 30 آخراً، ودخل الإعلام في المعركة بعد اتصال السجناء بالقنوات والإذاعات، اضطر النظام لإرسال لجنة للمفاوضات بقيادة اللواء منير أدنوف نائب رئيس هيئة الأركان بعد التهديد بقتل الأسرى ووصول الأمر للإعلام.

صراع أجنحة النظام بين الحرس القديم والحرس الجديد ومحكمة الحريري وخوف كل طرف أن يضحي به أجبر النظام على التعاطي بالتفاوض، من الأمور التي اضطررت النظام للتفاوض هو زيارة بشار الأسد المرتقبة لفرنسا بعد أيام حيث يحاول النظام تلميع صورته أمام رئيس فرنسا ساركوزي.

اعتبر النظام توقيت الأحداث محراجاً له وخشي فعلاً أن يتم إلغاء الزيارة وهذا ما طالبت به المنظمات الإنسانية الحقوقية في العالم وفي فرنسا خاصة.

الغرب المنافق والساخط كعادته وتحقيقاً لمصالحه الأنانية غض النظر عن هذه المجازرة الدموية كما غض النظر على مذبحة تدمر التي ارتكبها حافظ، كان وفد النظام رفيعاً تكون من اللواء منير أدنوف الذي ترقى إلى عماد لاحقاً، واللواء فايز حاج صالح نائب رئيس شعبة التنظيم والإدارة في الجيش، وكذلك العميد حسن دياب رئيس الفرع الأمني الشهير بفرع المنطقة واللواء نعمان الخطيب قائد الشرطة العسكرية.

ذلك جمع هائل من ضباط الفرقة الرابعة والحرس الجمهوري وضابط رفيع المستوى من القصر الجمهوري كان له شأن خاص لا يبرمون أمراً بدونه! شكلت لجنة مفاوضات من قبل السجناء كانت من سبعة أشخاص وتم اختيارهم كممثلي عن أطياف السجناء وتياراتهم، كان اختيار اللجنة عفوياً إثر اندلاع الأزمة حيث تداعى قيادات السجن للإجتماع في أحد المهاجع وفوضوا هؤلاء النفر السبعة لهذه المهمة العسيرة، من أبرز أعضاء لجنة المفاوضات كان الشيخ سمير البحر وكان ممثلاً لأغلب السجناء كونه كان من أبرز مفاوضي اللجنة السابقة في 27/3/2008. رشح أبووحنيفة الأردني وفواز اللبناني (قيادات من القاعدة) من قبل الجهاديين، ومن حزب التحرير كان اثنان: أبو بلال اللبناني والضابط، أبو سليمان من اللاذقية، ورشح

أيضاً حسن صوفان أبو البراء من اللاذقية من دعوة أبي الصادق، والسابع كان الشيخ أبو العباس أبوالتوت.

كان الترتيب أن يبقى الشيخ أبو العباس في الأعلى مع السجناء لا ينزل إلى لجنة النظام وحظيت هذه اللجنة بشبه إجماع بين السجناء، كان وجود أبيوحنيفة الأردني عامل اطمئنان لدى الجهاديين لضمان قوة المفاوضات وفي نفس الوقت كان مثار قلق لدى البعض، لكن اللجنة كانت تضع نفسها أهدافاً عامة متفقاً عليها وهي الخروج من هذا المأزق الخطير وحقن دماء السجناء والحفاظ على المكتسبات السابقة. شكل هذا الأمر انطلاقاً جيدة للعمل حيث تم الاستفادة من طاقات الجميع لإنجاح المفاوضات وتبادل الأدوار بين شد وجذب لتحقيق التوازن المطلوب، كانت المفاوضات عسيرة فأنت تفاوض نظاماً شرساً معروفاً بإجرامه وعتوه ولا تنسي أنه أسير مستضعف ولكن اللجنة تعاملت بقوة سياسية مذهلة هجومية! كانت اللجنة تدرك أنها ستهاجم بقوة ولذلك فالهجوم هو خير وسيلة للدفاع وما إن نزلوا للتفاوض حتى وقع بالفعل ما توقعته اللجنة. كان التفاوض يتم في خيمة بين السجن وقوات النظام (وهذه نقطة قوة للسجناء) وكانت لجنة النظام على اتصال ساخن عبر الرباعي مع مكتب الأمن القومي.

هناك في مكتب الأمن القومي كان آصف شوكت وحسن التركماني وهشام البختيار يديرون التفاوض وقد أهلتهم الله لاحقاً في الثورة جميعاً، كان الجزء من جنس العمل والله يمهل ولا يهمل، حيث قتلوا جميعاً في تفجير خلية الأزمة في دمشق عام 2012 وذلك جزءاً أكابر المجرمين. أخذ النظام يهدد بالطيران والدبابات واتصل العmad حسن التركماني باللجنة معطياً أمراً بتسليم الأسرى والدخول للمهاجم فوراً وإنما، قال حسن دياب ليس عندنا مشكلة ف يجعل من صيدنايا كالمسجد الأحمر في باكستان أو مسرح موسكو باستعمال السلاح الكيماوي الفتاك!!

كانت صدمة مروعة فعلاً ولكن أبيوحنيفة قال بقوة لقد أعطيت السجناء مهلة دقيقتين فإن لم أحضر إليكم فقدموا رؤوس الضباط من النوافذ!! انقلب النظام من الهجوم إلى حالة الاستجاء وطمأن اللجنة وتغيرت لغة الخطاب وطالبوأبا حنيفة بالعودة فوراً لطمأنة السجناء.

تم ذلك وأدرك النظام أنه لا يخوض مفاوضات عادلة وفرض أمر واقع بل أنه يتعامل مع ند قوي شرس لا يستسلم بسهولة، أدرك النظام أنه لا بد من التدرج مع السجناء وأنه لا يمكن له الحصول على ما يريد دفعه واحدة وأخذ نفساً طويلاً، واللجنة كذلك وقعت بين مطرقة النظام وسندان السجناء الذين غاب عن حس الكثرين منهم أنهم سجناء مستضعفون، اللجنة تعلم أن النظام مهما تنازل وقدم فهو لن يقدم الكثير والتصادم سيؤدي إلى مزيد من الدماء وفرض رؤية النظام في النهاية. وكانت اللجنة تدرك أن ما يمكن تحقيقه قد لا يرضي الكثير من السجناء الذين تحولوا إلى ثوار أحرار من الصعوبة بمكان احتواoهم، على كل بدأت الأمور وطالبت اللجنة بتطمينات تبين صدق النظام ولا سيما أنه غدر وهاجم السجناء في 5/7/2008 بعد وعود اللواء سعيد سمور. تم التوافق بين اللجنةتين على ورقة عمل مشتركة تقضي بعودة السجن تدريجياً إلى نظامه المعروف وتسليم الأسرى والدخول للمهاجم. مقابل أن يقوم النظام بخطوات تطمئنية بإرجاع قواته للوراء وتزويد السجن بالطعام والمياه والكهرباء ووعود بالإصلاحات وتحسين المعاملة، والأهم هو تعهد النظام بعدم محاسبة السجناء على الأحداث وطي الصفحة الماضية وعودة الأمور إلى سابق عهدها بفتح الزيارات لأهالي السجناء، كمبادرة حسن نية من قبل لجنة السجناء قاموا بإيصال الأسرى الجرحى من العساكر وسلموهم للنظام خشية موتهم بين أيدينا، كان ملف الأسرى شائكاً للغاية وخشيته لجنة السجناء أن يستخدم هذا الملف كذرعية من قبل النظام لاقتحام السجن.

كان أغلب الأسرى من العساكر من أبناء السنة فالخاسر من هذا الاقتحام سيكون هم السنة وهذا سيتسبب بعدائية المجتمع السنّي لأبنائهم السجناء، لذلك قررت اللجنة المسارعة بإنهاء هذا الملف مع تحقيق بعض المكافآت وكذلك خوفاً من أن يتم تصفيّتهم من بعض السجناء كذلك. قام النظام بمعاقبة علي خير بك وعزله وعزل رئيس الشرطة العسكرية نعمان الخطيب والذي تعرض لنوبة قلبية أهلكته غير مأسوف عليه، تم وضع الأسرى في مهاجع وأحسنت معاملتهم بل والله قدم بعض

السجناء الأسرى على أنفسهم بالطعام والشراب وقدموا لهم العلاج رغم قلة ذات اليد، تم شرح قضيتنا للعساكر الذين هم من غالبيهم من أهل السنة وشرح لهم جرائم النظام فأحسوا بالأمان والإطمئنان وتغيرت نظرتهم، تم إجراء دورات شرعية لتعليم الأسرى حقيقة الإسلام وجرائم معاونة النظام، وتعليمهم الوضوء والصلوة وكأنك في حلقة العلم!! ومن أراد التأكد من ذلك فليسألهم الآن يجيبوك وهذا أمر مستفيض بل إن بعضهم من رأيت التحق بالمجاهدين بعد أن رأى ما رأى، وفي المقابل فقد تمت معاقبة الضباط وصف الضباط المسؤولين الذين ساموا السجناء سوء العذاب حيث تمت (دولبهم) من باب المعاملة بالمثل.

إخواني هي آية من آيات الله أن يتحول السجين إلى سجان، وينقلب السحر على الساحر وتحس بقوله تعالى: (ولقد نصركم الله بيدر وأنتم أذلة).

ملف الأسرى كان بداية لظهور تيار يطلق عليه في السجن (التيار التصعيدي) والذي كانت له رؤية مختلفة حول الأسرى، كان هذا التيار يرى أنه لا بد من الحفاظ على الأسرى كرهائن للضغط على النظام ليتم إخراج هذا التيار على الأقل من السجن.

طريقة إخراجهم تكون بفتح ممر آمن إلى دولة أوربية كما حصل في كنيسة المهد في بيت لحم أو إلى الحدود العراقية للالتحاق بالمجاهدين هناك، وفي أسوأ الحالات أن يبقى السجن على هذا الوضع حتى يحدث أمر رباني يغير مجرى الأمور مثل محكمة الحريري.

كان هذا التيار التصعيدي قليلاً لكن صوته كان عالياً وأخذ يؤصل لنفسه أن السجن لم يعد سجناً قائلاً: نحن لسنا أسرى بل محاصرون! البعض من التيار التصعيدي اعتبر هذه البقعة هي دار الإسلام الوحيدة في سوريا بل إن البعض كتب عبارة (إمارة صيدنaya الإسلامية) على الجدران، رغم أن هؤلاء كانوا قلة فعلاً إلا أن النظام صبغ السجن كله بهذه الصبغة وهي أن السجناء أعلنوا دولة الخلافة في السجن!!

هذا الموقف هو نفسه الذي اتخذه النظام في الثورة حيث اتهم المتظاهرين المسلمين بأنهم إرهابيون متهمًا الثورة بـ(العسكرة) من بدايتها، كانت تصرفات النظام تخدم هذا التيار التصعيدي فغدره وكذبه يجعل الكثيرين من السجناء يتغافلون أو على الأقل يصمتون أمامهم، وبالفعل حصل أمر كان له ردة فعل ورضي عميق لدى السجناء وهو موضوع السجناء الذين تم أسرهم لدى النظام أثناء الاشتباكات. فكما تعلمون تم أسر مجموعة من السجناء أثناء هجوم العساكر كما تم تسليم الجرحى للنظام قبل بدء المفاوضات، حيث أسرع السجناء بتسليمهم كي لا يموتو بين أيديهم فالوضع كان مرتكباً وجراحهم تنزف ولا إمكانيات لعلاجهم.

حول جرحى السجناء وعدهم حوالي الـ30 إلى مشفى تشرين العسكري والذي بدوره تحول إلى معتقل رهيب يفوق سجن تدمر، ضغط السجناء على اللجنة لضرورة زيارة الإخوة في المشفى للاطمئنان عليهم! وكدليل أولي على صدق نوايا النظام، خضع النظام لهذا الطلب وقام الأخ حسن صوفان بزيارتهم وهنا كانت المفاجأة أكبر من المتوقع فلقد كان الأمر مهولاً لأقصى حد!

ما حصل في مشفى تشرين العسكري وملف الأسرى من العساكر وما تلا ذلك في الحلقة القادمة العاشرة إن شاء الله

الحلقة العاشرة:

تكلمنا في الحلقة السابقة عن مرحلة ما بعد 5/7/2008 وهي مرحلة المفاوضات مع النظام والاتفاق على مبادئ للحل بين لجنتي التفاوض، كان هناك ملفان ساخنان هما ملفاً أسرى النظام الموجودين لدى السجناء، وملف جرحى السجناء الموجودين في مشفى تشرين العسكري، تحت ضغط السجناء طالبت اللجنة النظام بزيارة الجرحى وتمت الزيارة فعلاً في

اليوم الثاني إلى مشفى تشرين العسكري، طبعاً في البداية رفض النظام زيارة جرحي السجناء بحجة أن الأمر يمس سيادة الدولة ولكن لجنة السجناء، أخبرت النظام أن هذا الأمر سيعرقل الحل ويمنع تسليم باقي أسرى النظام فما كان منهم إلا الموافقة والرضوخ لمطالب اللجنة والسماح لممثليهم بالزيارة، كان ممثل السجناء هو الأخ حسن صوفان (أبوالبراء) واحتير لجرأته وحنكته السياسية حيث يعرف كيف يتعامل مع النظام، طبعاً أرادوا تقييده بالقيود (الكلجات) فرفض وقال لأدنوف بصوت عالي! لا بد أن أذهب بكرامة لحقن الدماء!! فأوّلماً أدنوف بتسهيل الأمر.

كانت أجواء الزيارة متوتة جداً حيث عشرات الضباط والجنود يحيطون بحسن صوفان ولا يفسحون له المجال لأي حركة منه، طلب منه أن يمر على الجرحي دون الكلام معهم أو سؤالهم لكنه وجدهم في حالة مزرية يظهر عليهم شدة التعذيب، كانوا مكبلين في الأيدي والأقدام ومعصوبين الأعين ولا يمكنون حتى من قضاء الحاجة دون أدنى عناء طبية وتفوح منهم رائحة القيح والصديد!

رأى أحد الجرحى أبو البراء صوفان من تحت الطماشة فصرخ مستغيثاً فانتهروه الضباط وأسكنته وهنا حصلت مشادة كلامية، بين صوفان والضباط وأصر صوفان على المرور على الجرحي فرداً فرداً وتسجيل أسمائهم منعاً من تصفيتهم لاحقاً كنوع من الضمانة، رفض الضباط ذلك فقال لهم صوفان أن هذا الرفض سيعرقل تسليم أسراكم فاتصلوا بأدنوف وأعطيوا أوامرها بالاستجابة.

بدأ صوفان يكلم السجناء ويسأل عن أحوالهم ويسجل أسماءهم وكان هناك اثنان في العناية المشددة تم منعه منرؤيتهم، كان هناك أخ جريح اسمه أبو محمد الحفار والذي أصيب بطلق ناري اخترق أمعاءه وكانت حالته سيئة جداً بسبب تمزق الأمعاء والتهايبها، لكن هذا الأخ الدمشقي المعروف بدعايته رغم آلامه كانت معنوياته عالية جداً وداعب صوفان وقتها!! وقد مات لاحقاً من الإهمال الطبي المعمد. كان هذا الأخ محكوماً عشرين عاماً وكان ميسور الحال وكان ينفق على السجناء من ماله الخاص رحمة الله وتقبله.

حاول أبو البراء صوفان أن يرجع معه بعض الجرحى من إصابتهم طفيفة فرفض النظام رفضاً قاطعاً دون أن يقبل النقاش، رجع صوفان إلى السجن وأجرى اجتماعاً مغلقاً مع لجنة السجناء وشرح بالتفصيل ما حصل معه في زيارته للمشفى، اتفقت اللجنة أن يتكلم صوفان بالإجمال دون التفصيل خوفاً من ردة الفعل من تصفيته أسرى النظام المتواجدين بين أيدي السجناء كنوع من الانتقام، وبالتالي هذا الأمر سيعرض السجن لمذبحة جديدة إضافة لتصفية الجرحي في المشفى ولكن الأمر مرّ بسلام.

استمر العمل بموضوع تسليم الأسرى من العساكر إلى النظام على دفعات خلال عدة أيام حيث انتهى هذا الملف بسلامة رغم الصعوبات، وسط تجاذب الأراء استطاعت اللجنة أن تسلم الأسرى للنظام وتغلق هذه الصفحة الحرجية وقطع الطريق على النظام، حاولت اللجنة أن تتأخر في تسليم الأسرى على دفعات طمعاً في الحصول على مكافآت أكثر دون التأخير الشديد الذي قد يضر، في ظل هذه الظروف جاء نبأ مفجع!! وهو استشهاد بعض الإخوة الجرحى في مشفى تشرين بعد زيارة مثل اللجنة حسن صوفان، بعضهم كانت حالته عافية عند نقله للمشفى مما قوى الرأي أنه تم تصفيتهم تحت التعذيب وهؤلاء هم من منع صوفان من رؤيتهم في العناية المشددة.

هذا الأمر أعاد الأمور إلى المربع الأول من عدم الثقة وخوف الغدر من النظام الذي لم يتوقف عن غدره بالسجناء مرة بعد مرة، علا صوت التصعيدين الذين زاد من موقفهم هذا الموقف وفي الوقت نفسه سعت اللجنة للضغط على النظام لتسليم الجرحي، خضع النظام في النهاية وقام بتسليم أول دفعة من الجرحى بعد أسبوعين والذين قاموا بوصف ما حصل لهم من فظائع في المشفى

بكل حقد وطائفية تعامل الأطباء والممرضون مع الجرحى وخاصة في الأيام الأولى قبل زيارة ممثل السجناء لهم، حدث ولا

خرج عن السباب والشتائم لكل المقدسات، مقيدو الأرجل والأيدي، لا يسمح لهم بقضاء الحاجة، بلا طعام وماء، شرط أجسادهم بالمشارط ويرش عليها البول والكحول، وحين يطلبون الماء فيسوقون البول والكحول!! تركت جراحهم للتعفن وكانت الهراءات تعمل في أجسادهم بلا تمييز ولا يسمح لهم حتى بالصراخ لأن الشاش على أفواههم، كان بعض الأطباء والممرضين يحرقون لحي الجرح بالقداحات ويرقصون على صراغ الإخوة واستغاثاتهم. من أبشع المواقف والذي لا يمكن أن ينسى ويؤلمني جداً مجرد تذكرة وتقاد تميد بي الأرض هو ما حصل مع الأخ أبو الزبير (أنور حمادي من دير الزور) كان جرحه في عينه عارياً لكنه كان ملتحياً ويظهر عليه سيماء الالتزام، جاؤوا إليه وأخذوا يضربونه بالهراءات على بطنه ورأسه وخصيته وهو يكبر!!! حتى أردوه قتيلاً وشوهوها جثته بشكل رهيب!!! الذي يحزن أن هذا الأخ طلب من السجناء أن لا يرسلوه إلى المشفى وكان يحس بالغدر هناك وتسلل إليهم ولكن قدر الله وماشاء فعل!!

صب الأطباء والممرضون النصيريون جام حقدم وطائفتهم على السجناء وقرر السجناء تسمية المشفى بـ(مسلسل تشرين العسكري) ليشاشة مارأوا، توقف التعذيب بعد زيارة صوفان مباشرة مع بقاء سوء المعاملة ولكن النظام قام بجولة تعذيبية لهم بعد مغادرة حسن صوفان فوراً للحفاظ على هيبة الدولة!!! فائلين للجرح هذه بركات زيارة شيخكم!!!! وبعدها توقف التعذيب كلية.

عودة هؤلاء الإخوة كان أملاً للسجناء في هذا النفق المظلم حيث أنهم نجوا من الموت المحتم ورأوه أمام أعينهم وكانت نجاتهم أشبه بالمعجزة، عادوا هيأكل عظمية من الجوع والتعب ولكنهم عادوا حاملين معهم ذكرى سماع أصوات إخوانهم وأنيتهم ممن قضى نحبه منهم، أحد العائدين من الجرحى نفذ أول عملية استشهادية في النصيرية في الثورة السورية إنه الأخ المجاهد العابد أبو مالك الحلبي قبله الله، استمرت المفاوضات المتعثرة بين اللجنتين ونحن هنا بعد 20 يوماً على أحداث 5/7 حيث سلم السجناء الطابق الأرضي للنظام، كذلك تم النزول من السطح والدخول إلى الأجنحة وإغلاق أبوابها بجنازير مع إبقاء أبواب المهاجم مفتوحة، تم تعيين مدير سجن جديد هو العميد طلعت محفوظ نصيري من منطقة دريكيش وهو جزار تدمير السابق، العميد طلعت محفوظ شخصية هوسيّة مصاب بنوع من جنون العظمة كما يبدو من لغة شواربه وطريقة كلامه ومشيه وكان يتكلم أحياناً خمسة ساعات لا يكل ولا يمل (إدرار كلامي) بكلام مبعثر مخلوط لا تعرف أوله من آخره أقرب للسلطة الكلامية. ظن هذا المجنون أنه قادر على ضبط السجن بسهولة بطريقته الهوسيّة ولكنه بحمّاقته قاد السجن إلى كارثة جديدة

مرحلة طلعت محفوظ وكيف تعامل مع الملف الساخن هذا ما سنتابعه إن شاء الله في الحلقة القادمة.

الحلقة الحادية عشرة:

ذكرنا في الحلقة السابقة كيف آلت الأمور إلى استلام العميد طلعت محفوظ جزار تدمير لسجن صيدنaya، وتكلمنا عن صفات هذا الأحمق المهووس، وكيف قد تم تسليم أسرى النظام وكيف رجع الجرحى من المشفى بعد معاناة وكيف دخل السجناء إلى الأجنحة.

كانت لجنة السجناء قد مضت في المفاوضات كما رسم لها في خارطة الطريق مع النظام وصولاً لاستحقاق الزيارات، هنا ترك منير أدنوف المفاوضات وسلمها لطلعت محفوظ ويرز هنا كذلك دور العميد خليل الخالد القائد الجديد للشرطة العسكرية.

العميد خليل الخالد من الجولان كان رئيس فرع المخابرات العسكرية في القامشلي وهو من الشخصيات الأمنية المعروفة. نلاحظ هنا أن الملف استلمه بشكل كامل آصف شوكت الشخصية الشهيرة والعدو اللدود للإسلاميين مع الشخصيات

قام النظام بتفتيش شكلي في الأجنحة بحجة فرض نظام وهيبة السجن ولسحب الحراب والبوريات وتم التفتيش بسلسة دون مشاكل، كان التفتيش عبر أجهزة المطارات الإلكترونية ولم يحتكوا بشكل مباشر مع السجناء الذين أخفوا كثير من البواري داخل الجدران خشية غدر النظام! كان يتم نقل السجناء وتجميدهم في جناح ريثما يفتح الجناح الآخر بحضور لجنة السجناء وعدد ليس بالكبير من المفتشين، أثار هذا التفتيش الشكلي التساؤلات حول الجدوى منه مع العلم أن النظام يعلم بوجود عدد كبير من الأسلحة البيضاء!!

كانت الأجراءات عقب انتهاء التفتيش إيجابية ومفعمة بالتفاؤل الحذر حيث شعر السجناء بكسب جولة من المفاوضات لصالحهم على النظام، تم فتح الندوات الغذائية وبدأت الولائم وببدأ الدروس العلمية بعد السيطرة على مكتبة السجن ولكن هذا النعيم لم يدم طويلاً فكان له ما بعده، مع هذا النعيم المؤقت كانت الجولات مستمرة بين لجنة السجناء وللجنة النظام برئاسة طلعت محفوظ وكانت الكفة في ملعب النظام، حيث شروط الاتفاق تقضي بفتح الزيارات ولو جزئياً فهي الضمانة الوحيدة للاتصال مع الخارج وإيصال ما يجري إلى الإعلام.

في هذه الأثناء تم مشاهدة شاحنات محملة بألواح من الحديد ويتم إنزالها برافعات كبيرة إلى الطابق الأرضي، هنا بدأ الشكوك تساور السجناء وطلبو من لجنة السجناء توضيح الأمر والتي بدورها كانت متراجئة من هذه الخطوة، أخذ طلعت محفوظ يراوغ ويقول نحن دولة ولنا نظام!! وتزامناً مع الإصلاحات لا بد من إجراءات أمنية حتى لا يتكرر ما حصل وحاول طمأنة اللجنة، بدورها لجنة السجناء حاولت تهدئة نفوس السجناء وتهميشهما هذا الأمر وأنه ليس ذا قيمة ولكن السجناء لم يقنعوا بهذا الكلام.

تبين أن هذه الألواح من أجل تصفيح الطابق الأرضي أي جعل الجدران مصفحة بألواح الحديد حتى لا يتم كسر الجدران من جديد، تم إزالة كل ما هو حديدي واستبدلته ببلاستيكى وإحكام الأبواب وإغلاق كل نوافذ التهوية بشكل شبه كامل وزرع كاميرات في كل جناح، أصبحت المهاجع أشبه بأقفاص حديدية وكان طلعت محفوظ يسمى المهجع بالقصص تهكمًا ولذلك أصبحت صيدنانيا مثل غواندامو.

هذا التصفيح فسر للسجناء التفتيش الشكلي وغض طرفهم عن البواري التي خبأها السجناء لأنهم كانوا يخططون لإزالة السجناء مجرد من كل شيء، بدأ طلعت محفوظ بعرض جديد على اللجنة ناقضاً الاتفاق القديم بفتح الزيارات حيث يتضمن العرض الجديد ما يلي:

- يتم إنزال دفعة من السجناء يحددها السجناء أنفسهم مقابل فتح الزيارة ثاني يوم مباشرة وهنا تيقن السجناء أنها غرفة جديدة من غدرات النظام، حاول محفوظ إقناع اللجنة بهذا الأمر ولكنها رفضت رفضاً قاطعاً وبعدها حاول أن يتفرد بأعضاء اللجنة بغية تفريتهم، بعد أن فشل أخذ يحيد اللجنة شيئاً فشيئاً قائلاً: هناك نظام سجن ومدير واللجنة مثلها مثل غيرها من السجناء.

نصحته اللجنة أن هذا الأسلوب قد يقوض كل المساعي السابقة لكنه بغروره وحماقته لم يسمع للنصائح مطلقاً، كان النظام يحول على إنزال السجناء إلى جناح التصفيح بثيابهم الشخصية فقط ويقول ما تحتاجونه ستجدونه أمامكم لكن من البلاستيك!!!.

بقي النظام مصرأً على عرضه الجديد بأنه لا تفتح الزيارات حتى تنزل دفعة من السجناء إلى الطابق المصفح وكانت الأمور بين شد وجذب، تذرع النظام بحادثة وقعت في السجن قبل البدء بالتصفيح تسمى حادثة "التكبير" حيث نزل أحد الأخوة إلى المشفى وتعرض للإهانة هناك، عندما عاد هذا الأخ من المشفى وأخبر السجناء بما حصل له من إهانة فانطلقوا بالتكبير وكاد السجن أن ينفجر مرة أخرى، قال النظام كيف يمكن التعامل مع السجناء بهذه الطريقة وهم بالغو الحساسية لأدنى موقف

وقد ينفجروا بأي لحظة، هنا رفض السجناء النزول للمهاجمة دون ضمانات حقيقة وكان موقفاً جماعياً من السجناء أما اللجنة فانقسمت إلى قسمين:

الأول كان على رأي السجناء بعدم النزول وخطورة التخلص عن السلاح والثاني أراد النزول كتجربة أولى ولكنه قوبل برفض قاطع من جماهير السجناء.

هنا توحد موقف اللجنة والسجناء برفض النزول وعزز هذا التوحد تلميح طلعت محفوظ إلى أنه من الممكن أن يتم فتح ملف المحاسبة لبعض السجناء!! هذا التلميح أضعف موقف القسم المؤيد للنزول من اللجنة وأصبح الجميع في خندق واحد يتجلّى برفض التصفيح واستمرار الضغط على النظام.

أهل النظام عبر طلعت محفوظ لجنة السجناء عدة أيام لإعطائه جواباً نهائياً حول النزول للتصفيح ملوحاً بسياسة العصا والجزرة، عقدت اللجنة آخر اجتماع لها وقررت الرد النهائي على النظام بالرفض المطلق وتم إبلاغ طلعت محفوظ بذلك رسمياً.

تم ذلك في اجتماع نهائي ليلاً في آخر أيام شهر رمضان من عام 2008 مع طلعت محفوظ الذي قال للجنة أن هذا الرفض سيغضبه القيادة، ردت عليه اللجنة بكل ثقة وقوه: أبلغ قيادتك بهذا الرفض وليخضبوا كما يريدون فلم يعد عندنا ما نخسره. توفرت المفاوضات مع النظام عند هذا الحد وقرر النظام تغيير السياسة المتتبعة مع السجناء بشكل كامل.

موقف اللجنة هذا سيكون له نتائج عقابية بحق اللجنة لاحقاً والتي ستدفع ثمن ذلك كما سيأتي بإذن الله حيث اعتبرهم النظام رؤوس التحرير والتمرد.

قطع النظام علاقاته مع السجناء وتوقفت المفاوضات وأصبحنا على اعتاب مرحلة تسمى مرحلة الحصار والتي كانت مرحلة حرجة وحساسة للغاية.

مرحلة الحصار والتضييق بعد شهر رمضان من ذلك العام وما تلا ذلك ستتابعه في الحلقة القادمة الثانية عشرة إن شاء الله تعالى من صيانتكم.

الحلقة الثانية عشرة:

تكلمنا في الحلقة السابقة عن وصول المفاوضات مع النظام إلى نقطة مسدودة حيث رفض السجناء مع لجنتهم النزول إلى أقفاص الحديد، وللعلم فنحن الآن في أواخر شهر رمضان من عام 2008 حيث بدأت مرحلة جديدة هي مرحلة الحصار والتضييق.

حاول العميد طلعت محفوظ قبيل البدء بالمرحلة الجديدة محاولة شق اللجنة كلعبةأخيرة حيث طلب أحد أعضاء اللجنة إقناعه بأمر النزول إلى التصفيح، استخدم العميد طلعت الترغيب والترهيب مع عضو اللجنة، لكنه جوبه برفض ذلك العضو دون الحصول على موافقة جماعية من قبل السجناء واللجنة، هدد العميد طلعت بالمواجهة والتصعيد فأجابه ذلك العضو بقوه: أن المواجهة مع النظام هي أحسن من الإقتتال والفتنة الداخلية.

قام النظام بعد ذلك موقف بقطع علاقاته مع السجناء واللجنة حيث اقتصر تمثيل النظام على بعض الرقباء والمجندين من عناصر الشرطة العسكرية، أعطى النظام أمراً لعناصره بمنع تحرك وتنقل عناصر لجنة السجناء بين الأجنحة بغية إسقاطهم وتجميد دورهم.

كان هناك ورشة إنشاءات عسكرية تقوم بعمليات التصفيح وتحصين السجن وكانت تتنقل بين الأجنحة بإشراف لجنة السجناء، وصلت معلومات لجنة السجناء عن نية بعض السجناء من التصعيديين القيام باختطاف ورشة إنشاءات مع العقيد المسؤول عنهم، هذا الأمر لو تم سيكون خطوة تصعيدية مفاجئة قد تعيد الأمور إلى نقطة الصفر فقررت اللجنة القيام

بخطة أخرى، وهي طرد ورشة الإنشاءات مع العقيد المسؤول عنها حيث لا بد من القيام بهذه الخطوة التصعيدية المتدرجة في بعض الشر أهون من بعض كما يقال.

رد النظام على هذه الخطوة بقطع الكهرباء بشكل متدرج وصولاً إلى قطع نهائي للكهرباء عن السجن بشكل كامل حيث خيم الظلم في السجن، تم التضييق على السجناء في معيشتهم حيث تم تقليل الطعام والخبز وحذف اللحوم والخضروات منه مع رداءة نوعية الطعام المقدم، كذلك تم تقليل المياه التي أصبحت تأتي بكميات قليلة متقطعة والأخطر من هذا زيادة عدد القوات العسكرية المحيطة بالسجن، قدر عدد هذه القوات بحوالي: (3000 عسكرياً) من مختلف التشكيلات وكانوا يأخذون وضعيات قتالية تأهبية ومدججين بالأسلحة.

أخذ النظام يقوم باستعراضات عسكرية ومناورات حول السجن وهذا يعني أن موضوع المفاوضات قد توقف وأن الحل سيكون عسكرياً.

أما هذا الواقع الجديد بدأ تغير تجمعات السجناء وكان النظام يسعى إلى (شلل) لجنة السجناء لزرع بذور الخلاف فيما بين السجناء، تم العمل على إسقاط اللجنة من قبل النظام وكذلك من قبل التصعيديين بحجة أن اللجنة سلمت الأسرى دون الحصول على مكاسب جدية، غاب النظام عن المشهد الداخلي للسجن حيث أخذت الفوضى تدب فيه وسط غياب لمرجعية قيادية وشرعية لهم.

بدأ السجناء يعيدون ترتيب صفوفهم وينتقلون من جناح لآخر حسب الأيديولوجيات التي يحملونها وأصبح لكل جناح صبغة معينة (جناح أ يسار طابق 2 بالكامل يتبع لأبي حذيفة الأردني، ويلاصقه أ يمين 2 بكماله تقريباً لأبي حمزة الجغل وكان بينهما تنافس عسكري)، الحلبيون من القاعدة كانوا في ب يمين 2 مع وجود تمثيل لأبي البراء صوفان ويلاصقه في ب يمين 2 سجناء من غير الإسلاميين، أما باقي الأجنحة فيها أتباع من كل تيار بالإضافة إلى حزب التحرير وعوام من السجناء الذين لم يدخلوا في هذه الم tahasat).

حاول كل جناح مؤديج أن يؤسس لمنهج شرعي في مسائل الإيمان والكفر ومنهج التغيير كنوع من إسباغ الشرعية للتحقيق التجنيد والاستقطاب إليه، في ظل هذه الظروف من الفوضى أخذ يرتفع صوت التصعيديين أكثر فأكثر بسبب تعثر المفاوضات مع النظام.

التصعيديون: لم يكونوا على طبقة واحدة بل كانوا متعدد المشارب والأهداف، فمنهم من هو الغالي التكفيري، ومن التصعيديين الشجاع الجريء الصادق الذي قرر عدم النزول إلى الأسر مرة أخرى، ومنهم من اعتبر نفسه متورطاً فترس بالسجناء. وكانت السمة الغالبة على التصعيديين هي رفض الحل التفاوضي وإسقاط اللجنة والتحريض عليها والدفع نحو الحل العسكري.

أراد النظام إحداث شرخ بين الإسلاميين وغير الإسلاميين عبر ترغيب الغير إسلاميين بالخروج من السجن والانتقال إلى مكان آخر، وبالفعل انتقل البعض من غير الإسلاميين وهنا تدخل التصعيديون لمنع الانتقال حيث اعتبروا وجودهم حماية للسجن، هنا أحس غير الإسلاميين أنهم أصبحوا ترساً للإسلاميين وحصل شرخ وعدم ثقة بين الطرفين، اللجنة لم تكن راضية على هذا التصرف بسبب وجود اتفاق مسبق معهم بحرية انتقالهم من السجن متى أرادوا ذلك، وللحقيقة فإن كثيراً من غير الإسلاميين انتقلوا بعد أحداث 5-7 مباشرة، وبقي هؤلاء بإرادتهم تضامناً مع الإسلاميين ضد العدو المشترك وهو النظام، أبو حذيفة الأردني هو الوحيد من أعضاء اللجنة الذي وقف مع التصعيديين في هذه الخطوة حيث أرسل حراسة للأجنحة لمنع الغير إسلاميين من الخروج، والهدف هو منع إخراج أي شخص من غير الإسلاميين خارج السجن وقد بدرت من الحراسة إساءات وترّت الأجراءات أكثر.

كان هذا انقساماً في اللجنة التي ظهر أنها فقدت القرار الجماعي وبدا كل فريق يعمل حسب رأيه وغابت الشورى، وأصبح

السجن هنا أشبه بسفينة في بحر متلاطم بدون ربان تتقاذفها الأمواج يمنة ويسرة وسط قلق أغلبية السجناء.

وصلت معلومات بقيام بعض السجناء من غير الإسلاميين بمراسلة النظام والتجسس لصالحه عبر النوافذ ومع الرقباء أثناء جلب الطعام، لمنع حصول ما لا يحمد عقباه قامت اللجنة باعتقال هؤلاء المشتبه بهم والتحقيق معهم حول المعلومات التي سرت شائعتها، بالفعل اعترف هؤلاء بإعطاء النظام معلومات تهويلية عن السجن والسجناء سبب زيارة تخوف النظام من السجناء، تم التحفظ على هؤلاء السجناء في أحد المهاجم مع وضع حراسة مشددة عليهم ومنع الاختلاط بهم.

صدرت أوامر من اللجنة بمنع اقتراب أي شخص من النوافذ باستثناء الحراسة الموكلين بمراقبة الوضع وتم وضع (حواجز) كذلك أمام كل جناح لمنع انتقال العناصر من جناح إلى جناح إلا بتزكية من رئيس الجناح وأخذت الأجراء داخل السجن تتجه نحو العسكرية حيث بدأت تدريبات ميدانية أشبه بدوره صاعقة مع ز مجرات التكبير!!.

كانت هذه التدريبات تزداد حدة كلما قام النظام باستعراض عسكري في محيط السجن حيث يزداد تخوف السجناء وأخذ بعض السجناء من التصعيديين بالنزول عبر المناور إلى الطابق الأرضي الذي هو بيد النظام ليستكشفوا ما يحدث داخله من تصفيح وجلبوا معهم صفائح من الحديد وصنعوا منها دروع واقية وحربات وسيوف نوعية.

في هذه الأجراء العسكرية كان هناك جدل حول القيادة الأولى بالإتباع حيث سعى كل جناح لتعزيز موقفه الشرعي. كان أبو حذيفة الأردني بعيداً عن العلم فحاول جلب بعض طلبة العلم من دعاوى القاعدة لإسباغ الشرعية على تصرفاته ولم يتم التوافق مع هؤلاء الشرعيين الذين لمسوا من أبي حذيفة استبداً بالرأي دون العودة الحقيقة للشريعة.

هنا أصبح أبو سعد القاعود فلسطيني من المخيم هو الشرعي لتيار أبي حذيفة وكانت بضاعته من العلم قليلة ولكن كان القاعود جريئاً، وبدأ حملات التراشق الكلامي مع تيار أبي حمزة الجفل وصلت لدرجة الهجر والتفسيق بل والتبييع.

كانت وجهة نظر البعض أنه مجرد حل الخلاف الشرعي حول المسائل المثار الجدل حولها سيحل الخلاف في السجن فتمت الدعوة إلى عقد مناظرات بين الطرفين (تيار أبو حذيفة وتيار أبو حمزة الجفل) بغية الوصول إلى سقف شرعى موحد، فأدار المناظرات الأخ أبو مالك القلمونى (أمير النصرة حالياً) والأخ أبو سعد تلاوي أحد طلبة العلم البارزين في السجن وتمحورت المناظرة في عدة محاور منها: إعذار البرلمانيين الإسلاميين، أصل التوحيد، قاعدة التبع والاستقلال في مبحث التوحيد وغيرها من المسائل.

تمت المناظرة عبر عدة جلسات وكانت مسجلة في محاضر رسمية وكان أبو حمزة هو المتفوق علمياً في النقاش وظهر ضعف الطرف الآخر، كان للتدوين وجود مشرفين محسوبين على القاعدة أثر كبير في إحراج الطرفين علمياً ووضعهم على المحك حتى يلزمونه بأقوالهم، وفي بداية الجلسات كان هناك أتباع لكل طرف يحضرون للاستماع حيث اشتد النقاش في أحدها وقام أحد أتباع أبي حذيفة بشتم أبو حمزة الجفل وتكفيره.

هنا قام المشرفون بطرد الحضور وأبقوا على المتناظرين فقط وانتهت الجلسات ببيان رسمي دعا إلى وحدة الصف، وإرجاء نقاش هذه المسائل إلى الخارج حيث توفر المراجع والعلماء وهنا ارتفعت أصوات تنادي بتأسيس مجلس شورى لطلبة العلم في السجن يكون مرجعية في أي خلاف يحصل وتكون قراراته وفتواه ملزمة للجميع.

كيف تأسس هذا المجلس وما هي آلياته وماذا ضم من طلبة علم ، هذا ما نتعرف عليه إن شاء الله في الحلقة القادمة مع أحداث أخرى هامة.

الحلقة الثالثة عشرة:

حلقة مثيرة ودسمة من صيدنامو:

تكلمنا في الحلقة الماضية عن مرحلة الحصار والتضييق والتوجيه والتي تجلت بتوقف المفاوضات واتجاه الأمور نحو

التصعيد والعسكرة تدريجياً، وكيف آلت الأمور إلى تفرق السجناء بحسب الإيديولوجيات والمناهج وانتشار سياسة التخوين وحصول المناظرات حول أبرز المسائل الشرعية.

هنا برزت الحاجة لتشكيل مجلس شورى لطلبة العلم في السجن يحقق الوحدة الشرعية ويعمل على رؤية الحل الشرعي لنازلة السجن.

إن من أبرز نقطة الخلاف حقيقة بين السجناء وتياراتهم كان يتمثل في سقف الحل الأدنى الواجب تحقيقه في هذه المرحلة الحرجية الحساسة، فالبعض كان يرى السقف هو الخروج من الأسر بعفو أو صفقة، والبعض يرى السقف بضمانت عدم المحاسبة والإيذاء وإكمال مدة السجن بكرامة، والبعض كان يريد توريط السجناء في مقتل مهلكة، والبعض كان منبطحاً يريد النزول إلى النظام بلباسه الداخلي!!! دون أية مناورة ضمن هذه السقوف المتباينة حصل جدل حول الأحكام الشرعية لهذه النوازل الخطيرة بين الإفراط والتفرط، وبين من يكره مجرد من ينزل للنظام، وبين من يجب الاقتحام عليه في وضع الاستضعاف هذا، وبين من يرى شرعية اللجنة وبين من يرى ضلالها!! أصبح الناس في حيرة كبيرة وكان بعض السجناء يتمنى أن يقتحم النظام هو علينا إنهاء الخلاف الذي بلغ مبلغاً عظيماً. وبالفعل دعى بعض المصلحين إلى تشكيل مجلس طلبة العلم الموجودين في السجن للإجابة على هذه النوازل وإعطاء الرؤية الشرعية لهذا الواقع المعقد.

حيث لم يكن هناك طالب علم واحد قادر على الإجابة فاقتصرت هذه الفكرة الجماعية اقتداء بالمجامع الفقهية والاجتهاد الجماعي، دعي حوالي 30 ثالثين طالب علم وكانت ولله الحمد من بينهم وكانت هناك شخصيات من مختلف التيارات والاتجاهات، من سلفيين إلى جهاديين إلى حريريين إلى مستقلين تم اللقاء في أحد المهاجع دون حضور لأي شخصية عسكرية أو قيادية لتحقيق الاستقلالية.

رأى هذا المجلس الشرعي وجوب دفع صيال النظام لو هاجم هو، وحرمة الهجوم عليه في ذلك الظرف لأنه إلقاء بالنفس للتلهكة ويسبب الفرقة والنزاع، ودعا هذا المجلس الشرعي إلى تشكيل قيادة عسكرية للسجن مرجعيتها الشرعية هذا المجلس وسط ارتياح لعامة السجناء باستثناء التصعيديين، تم وضع ميثاق داخلي لطريقة الفتيا بين أسلوب الفتيا وطريقة الترجيح وأسلوب التعاطي مع النوازل والقيادات في السجن.

تم اختيار لجنة خمسية من بعض الأعضاء عبر الانتخاب والتصويت، مهمتها الفتيا في المسائل المستعجلة خوفاً من تعثر الاجتماع العام، حصل اتفاق شبه تام على أن يكون أبي حذيفة الأردني هو أمير عام للسجن حيث وصل الأمر لمنحنى خطير جداً لا بد فيه من التوحد وإلا فالأسوأ قادم!. رغم المخاوف من أبي حذيفة وتصرفاته إلا أنهم اختاروه لتأثيره على التصعيديين حيث يملك قوة عسكرية رادعة ومؤثرة.

اشترطت اللجنة مع باقي السجناء على أبي حذيفة شرطين: الأول أن يكون سقف المفاوضات مع النظام هو حقن دماء السجناء بشكل مشرف، والشرط الثاني: احتواء التصعيديين ومنعهم من مغامرة حمقاء تجر السجن لمقتلة عظيمة ووافق على ذلك لما له من تأثير عليهم، تزامناً مع تعين أبي حذيفة كان التصعيديون يفكرون بطريقة للهجوم على الجنود في الخارج بغية الحصول على السلاح الذي سيغير مجرى المعركة برأيه.

انحراف التصعيديون إلى أحد الأجنحة و كانوا قرابة السبعين حيث كانت خطتهم هدم جناح كامل مما سيثير عاصفة من الغبار وضغط كبير من هدمه أشبه بانفجار، حيث يستغلون هذه العاصفة كغطاء للاقتحام على الجنود والحصول على السلاح، كانت هذه خطة أحد مهندس من التصعيديين اسمه أبو الطيب كان يعيش في كندا، اقتبس الخطة من أحداث 11 سبتمبر وكيفية انهيار البرجين بالتركيز على نقاط الاستناد الضعيفة وحرقها بالنار حتى يذوب الحديد فتنهار الجسور والعضادات، بالفعل أفرغوا أحد الأجنحة من السجناء وبدؤوا بتنفيذ خطتهم بينما كان جمهور السجناء أغلبية صامدة فاقدة للتأثير وكانت الفعالية للتيار التصعيدي.

كان صمت الأغلبية بسبب الخوف من تكفيرونهم من قبل التصعيديين فأي محاولة لمنعهم من تنفيذ خطتهم بهدم الجنان سيتهمونهم بموالة النظام وحماية منشآته، عاش السجناء أياماً على صوت الدق والكل يخشى فعلاً من انهيار السجن على رؤوس السجناء وحرقه وأصبح المشهد عبيداً فعلاً ونتيجة لهذا الهدم وقبل ثلاثة أيام تقريباً من 6/12/2008 أوفد النظام العميد حسن دباب والعميد علي مخلوف لمقابلة أبي حذيفة كجولة الأخيرة قبل الاقتحام.

انتهت الجلسة بالفشل بسبب رفع السقف من قبل الطرفين: أبو حذيفة والنظام حيث طالب أبو حذيفة بإخراج السجناء بعفو أو صفقة، بينما النظام كان يريد استسلام السجناء ونقلهم بدون ضمانات حقيقية بعدم المحاسبة والانتقال معهم إلى المجهول.

طبعاً كان الطعام في هذه الفترة يأتي بالقطارة والماء متقطعة بحيث تسد الرمق فقط وبعد فشل آخر جلسة معه للمفاوضات قطع النظام الماء تماماً، هنا عمت الفوضى وملأ السجناء المسدس بحثاً عن الماء وبدأ النظام بتحصين الطابق الأرضي مساء الجمعة 5/12/2008 في دفع متعمد للسجناء باتجاه التمرد، وذلك بعد فشل النظام في التغويل على اقتتال داخلي حيث صرخ أحد الضباط الكبار لاحقاً أنهم أعطوا السجناء كل هذا الوقت من التضييق والحرصار والتوجيع لأنهم راهنوا على فتنة واقتتال داخلي بين السجناء بسبب تعدد المناهج في السجن ومعرفة النظام لذلك بدراساته الهائلة عن الجماعات.

في ليلة 5/12 قام التصعيديون بمحاولة اقتحام على جموع الجيش في الخارج عبر النزول من نافذة وهم مدربون بدروع حديدية تمت صناعتها من الصفائح، كان أبو حذيفة مخترقاً التصعيديين فعلم بذلك وأفشل الاقتحام في آخر لحظة بالقوة العسكرية وهنا حدثت مفاصلة بين التصعيديين وأبي حذيفة، حيث بدأ التصعيديون بعدها بحملة إسقاط ضد أبي حذيفة الأردني حيث اتهمه بعضهم بالكفر والردة بحجة أنه صد عن سبيل الله وتسبب ببلبلة لحظة الهجوم، مما أعلم النظام وهذه مظاهره للمشركين على المسلمين. تفاجأ أبو حذيفة من هؤلاء الذين كان يحتويهم وأسقط التصعيديون أنفسهم وتحولوا إلى

أقلية شاذة

تبين للكثيرين بمن فيهم أعضاء اللجنة أن أبي حذيفة الأردني رجل متعقل وأنه يسعى للمصلحة العامة وأنه كان يحاول احتواء التصعيديين، في تلك الليلة الرهيبة كادت فتنة اقتتال داخلي أن تشبّ على إثر منع التصعيديين من محاولة الاقتحام واستيقظ السجناء صباح 6/12/2008 وكان يوم عرفة.

استيقظ السجناء على تحريم التوافد والأبواب ورأى بعض السجناء ضباط مخابرات في الطابق الأرضي فقال الضباط لأحد السجناء (فوت راسك ولاك حمار)، فرد عليه الأخ بالرفض فقام الضابط برمي قنبلة يدوية على الدرج وهنا صد الأخ بالتكبير وتبعه الإخوة وكانت شرارة الاستعصاء الثالث والأخير

في الحلقة القادمة ستكون هناك أحداث 6/12 والتي لن يصدقها القراء لهولها وغرابتها ولكنها وقعت حقيقة!!!

الحلقة الرابعة عشرة:

تكلمنا في الحلقة السابقة كيف آلت الأمور إلى انفصال شرارة الاستعصاء الثالث في 6/12/2008 المصادف لـ يوم عرفة، بعد فشل المفاوضات لم يعد أمام النظام من خيار سوى الدفع باتجاه هذا الاستعصاء لكي يستعيد السيطرة على السجن بالقوة مرة أخرى ويفرض رؤيته، كما ذكرنا تم توافق أغلبية السجناء على تأميم أبي حذيفة رغم الانتقادات حرضاً على وحدة الصف وخوفاً من الاقتتال الداخلي وبغية عزل التصعيديين.

قام أبو حذيفة بمنع التصعيديين من الهجوم على النظام مما قطع الشعرة بينهم وبينه فانحازوا إلى أحد الأجنحة لتنفيذ الخطة التي ذكرناها سابقاً، تختلف الروايات حول انفصال الشرارة في المسدس؟؟

هل كانت ملاسنة كلامية أشعلت السجناء أم رمي قنبلة؟ وما نوع القنبلة؟؟

تفق الروايات على حدوث ملاسنة بين أحد السجناء وأحد أعضاء اللجنة الأمنية بزي مدنى قال للسجنين ادخل رأسك يا... فرد عليه السجين بشتيمة.

ولكن تضارب الروايات بين من قال أن هذا العضو رمى قنبلة دخانية (على الأرجح) على الأخ وبين من قال بأن الأمر فقط كان ملاسنة كلامية، لكن على الروايتين قام السجين بالتكبير وتبعه باقي السجناء وحدث الاستعصاء الثالث ومن المؤكد أن هذه الحادثة سرعت خطة النظام لاقتحام السجن، كما أسلفنا النظام والسجناء كانوا يعدون لهذا اليوم ولكن ساعة الصفر فرضها السجناء بتلك الحادثة مما خلط أوراق النظام وكان له بعض الفوائد:

فلم يكن النظام أنهى سحب كل المواد الغذائية من المطبخ وخاصة الطحين، ولم يكن أنهى كل عمليات التدشيم والتحريم والتحصين والأهم من ذلك هو منع وقوع الطابق الأرضي بيد السجناء كما حدث في 5/7 ليكون الطابق الأرضي نقطة انطلاق للأعلى حيث يحاصر السجناء هناك، لكن الإخوة كانوا متبهين لهذا الأمر فقاموا قبل أيام بنشر قضايا المسدس الحديدية للنزول فوراً من المسدس إلى الطابق الأرضي بطريقة التفافية.

كان نشر القضايا يتم ليلاً بتسلي حذر وصوت هارئ مع إخفاء آثار النشر بصبغة من القهوة ومواد أخرى تخفي تلك العملية بحيث تُرى القضايا على حالها، تفاجأ النظام في صبيحة الاستعصاء بنزول انغماسيين من المسدس حيث كان النظام يرابط على الدرج في الأرضي وإذ الإخوة خلفه مسلحين بالبواري والحراب، ووقع اشتباك عنيف جداً انتهى بسيطرة الإخوة على الطابق الأرضي وفتحوا لنا الأبواب من الأسفل وتتدفق باقي السجناء من الأعلى إلى الأرضي، ثم تبعها سيطرة السجناء على المبني الإداري (وهو ملحق بالطابق الأرضي) ودخلوا مكتب العميد طلت محفوظ الذي فر هارباً بشنبه المفتولين!!

غم الإخوة عسلاً استخدم لاحقاً في علاج الجرحى ووجدوا ثياباً نسائية!! وقوارير من الخمر كسروها ومكسرات وأموالاً في ثيابه المعلقة، حاول النظام بقوة استعادة الأرضي ومبني الإدارة وحصلت اشتباكات عنيفة وإلقاء كثيف للقنابل الغازية على السجناء والذين بدورهم، أبدوا بسالة لا نظير لها في التصدي بمختلف أطيافهم وساعدتهم في الصمود أمام الغازات كمامات تم تصنيعها محلياً بوسائل بدائية تحسباً لهذا اليوم.

أخذ النظام يضرب السجن بالأسلحة الثقيلة بشكل عشوائي ويلقي الغازات بشكل كثيف وأحضر رافعات أحاطت بالسجن من ثلاثة جهات، اعتلى القناصة على الرافعات وبدؤوا يقتنصون السجناء من الأعلى داخل المهاجم وفي الممرات وبدى الأمر مفاجأً حقيقة.

كانت صدمة لكثير من السجناء الذين لم يتوقعوا ردة فعل النظام بالقنصل بهذه الطريقة المت渥حة وأسقط في يد الكثيرين وطالب البعض التصعيديين بانتهاز الفرصة للهجوم على النظام واستغلال الفوضى ولم يعد هنالك موانع تحول دون ذلك. من بين التصعيديين قرر ثلاثة الهجوم على النظام وبدأ أحدهم وهو الأخ مجول رحمه الله من القامشلي وكان رجلاً فاضلاً صارقاً كما نحسبه هجم عليهم فأردوه قتيلاً وعندما رأى أصحابه القتل حقيقة تراجعوا وعادوا للوراء ودخلوا السجن مع تراجع دورهم بشكل كبير بعدها وطالب المتعاطفون التصعيديين بالهجوم تنفيذاً لوعودهم واستغلال الفوضى ولكن تأخر التصعيديين سمح للنظام بإحاطة السجن بأسوار من الأسلاك الشائكة.

بعد التأخير أصبح من شبه المستحيل الهجوم على النظام وضاعت الفرصة الوحيدة الممكنة للهجوم على النظام والحصول على بعض الأسلحة وسقط التعاطف مع التصعيديين و كان تصدى عوام السجناء لحملة النظام كفياً بإزالة البريق والمعان فالكل يقاتل وليس القتال حكراً على أحد!!

بدأ السجناء ينظمون صفوفهم وقسموا أنفسهم إلى مجموعات وقسموا السجن إلى قطاعات وبدا السجن كأنه ورش عمل مثل خلايا النحل وتشكل مجلس عسكري من بعض الخبراء وضع خطة دفاعية للسجن تتجلى بتدشيم النواخذ لمنع القناصة من قنصل السجناء وقسم تولى أمر صد أي محاولة اقتحام وسد منفذ الطابق الأرضي وآخر تولى عملية التدشيم والتحصين

من (الشوفاجات) والأبواب وغيرها وقسم بدأ بخياطة أكياس من العوازل والبطانيات لتعبئتها بالرمل الذي أخرجناه من تحت البلاط لنضعه متاريس أمام رمي القناصة والذخيرة الحية ويز مصطلح جديد في السجن وهو مصطلح "القتاليين" وكانوا في الطابق الأرضي والأول ويقدر عددهم بحوالي الـ 400 من مختلف اتجاهات الإسلاميين واستخدمت أبواب المهاجع لتدشيم النوافذ الكبيرة وتم بناء خنادق علوية في النقاط التي قد يتسلل منها النظام في الأجنحة وأحكمت المخارج وأصبح الطابق الأرضي والأول يسمى (تورا بورا) بسبب الدمار الهائل الذي حل به بسبب استهدافه من النظام وبدأ المشهد كارثياً.

انتهى اليوم الأول وهو يوم عرفة على خمسة قتلى وعشرات الجرحى مما استدعى السجناء إلى تخصيص مهجع يكون كمشفى ميداني، بما يتتوفر من إمكانات بسيطة تم إجراء الإسعافات الأولية بل تم تنفيذ عمليات جراحية معقدة بتوفيق من الله عز وجل ومن أبرز الجراحين كان الدكتور يوسف عاصي تقبيله الله والذي استشهد مع قادة الأحرار وقائد لواء العباس لاحقاً والدكتور أبو عبدالله أمير الفجر.

استفاق السجناء على عيد الأضحى صباحاً وسط غصة حيث يحتفل الناس بالعيد في الخارج ولا يعلمون ما يحل بأبنائهم في السجن، وهنا قرر السجناء الاحتفال بالعيد على طريقتهم فالعيد في حقيقته هو رمز التضحية والفاء لله سبحانه وتعالى فزاد هذا الأمر من همتهم ونشاطهم واحتللت صيحات التكبير مع صيحات "لبيك الله لبيك" ليقول السجناء لربهم رباه: الحجيج يلبون وهم آمنون ونحن نلبي على صوت المدافع والقنابل.

كان مشهداً لا ينسى وعندما بدأت الثورة -سبحان الله- تكررت نفس المشاهد وإذا بالمتظاهرين يصيرون كذلك: لبيك الله لبيك في مشهد متكرر، دنا الموت من كل واحد وأصبح المرء يظن أنه في أي لحظة سيودع هذه الدنيا وأيقن الجميع بالهلاك وانقطعت أسباب النجا.

كان النظام حازماً هذه المرة ولم يكن لديه مانع من قتل بعض السجناء وارتكاب مذبحة جديدة لإعادة النظام إلى السجن كما يزعم، ما عاد للسجناء من حل سوى المقاومة حتى آخر نفس وعدم الاستسلام للنظام الذي كان يعلم أن هجومه سيكلفه الكثير من الدماء.

نقل النظام الطعام من مطبخ السجن ولكن تفجر الأحداث منعه من إكمال النقل حيث بقي بعض الطعام والطحين ساعد السجناء على الصمود، تشكلت لجنة للإشراف على توزيع الطعام القليل وكانت حصة الفرد لقيمات مع كأس من الماء في حالة أشبه بالمجاعة القسرية.

صدرت فتوى من اللجنة الشرعية بوجوب تسليم ما يمتلكه كل فرد من طعام قوت مخزن ولو قليلاً أخذها بفتوى تقاسم الطعام عند المجامعت والضرورات، لكن الكثيرين من السجناء تبرعوا ب الطعام غير قوت لصالح إخوانهم الجرحى طمعاً في سرعة شفائهم في إيثار نادر في ظرف عصيب كهذا.

بدا الأفق مسدوداً وسط إصرار النظام على استسلام السجناء وببدأ النظام في الحرب النفسية باستخدام مكبرات الصوت، كان يبث الأغاني الوطنية وببدأ بقراءة البيانات تلو البيانات لزعزعة السجناء وبث الفرقه فيهم حيث كان يدندن على نبذ الأقلية التكفييرية!

بعد إحاطة السجن بالأسلام الشائكة قرر بعض السجناء البدء بحفر نفق يصل للخارج ولكن النظام ما لبث أن علم به لاحقاً بعد أيام، حيث صرخ في أحد بياته الصوتية قائلاً: لا تخفي علينا أعمال الجرذان! وقام بحفر خندق حول السجن تحسباً لأي خروج محتمل من النفق، هذا الأمر قضى على آخر أمل لخروج السجناء وازداد انسداد الأفق وسط غياب أي تغطية إعلامية أو مجرد ذكر الخبر في وسائل الإعلام.

كانت خطة النظام أن يبدأ هجومه اليوم الثاني للعيد مستغلًا عطلة العيد الطويلة من السبت إلى السبت أسبوعاً كاملاً، ومهد ذلك قبل أيام بإقامة مشاريع عسكرية في ثكنات قريبة من السجن للتغطية على أصوات إطلاق النار التي سيقوم بها وعالج

خطأ في 5/7 بمنع خروج أي أحد للسطح من خلال نشر القناصة كما فعلنا واستهدف كل من يرفع رأسه حيث حاول بعض الإخوة إشعال نيران هناك.

لكن حاول السجناء لفت الانتباه لما يجري فقاموا بإحراق بعض البطانيات في المسدس بعد عجزهم من الصعود للسطح، علت أعمدة الدخان من السجن كرسالة من داخل السجن إلى العالم الخارجي حيث قمنا بتفجير خزان كبير من المازوت ملاصق لجدار السجن الخارجي بالمولوتوف أدى إلى حريق هائل بقي طول النهار ولم تستطع سيارات الإطفاء إيقافه وعلى إثر هذا الفعل تناقلت بعض وسائل الأنباء خبر أحداث في صيدلانيا، وصلنا إلى اعتاب اليوم العاشر من الاستعصاء الثالث تقريباً حيث الأفق مسدود وسط الحصار والتوجيع والقنصل إلى حين حدوث أحداث هامة غيرت مجرى الأمور. ماذا حصل بعد ذلك وكيف تغير سير الأمور مع لفتات إنسانية وإيمانية، نتابعها في الحلقة القادمة.

الحلقة الخامسة عشرة:

تكلمنا في الحلقة الماضية عن اندلاع الاستعصاء الثالث والأخير في 6/12/2008 واستخدام النظام للرصاص الحي لإرغام السجناء على الاستسلام، حيث حصن السجناء السجن بما يتاح من التحسينات مع تعزيز الرباط والحراسة وبذلوا يتكلفون مع الوضع الجديد انتظاراً لفرج الله فانتظار الفرج عبادة وكان الطعام قليلاً وتم تعيين لجنة للإشراف على الطعام وتوزيعه بسياسة تضمن الصمود والاستمرار وكانت برئاسة الأخ أبو مالك الفلموني والذي كان يعمل مع ورشة كاملة من الأخوة الثقات الأمانة من بينهم الأخ الشهيد أبو المغيرة فؤاد الفالوجي من درعا وكان صاحب مطعم فاستفید من خبرته، كما أن الإخوة صنعوا من صفائح الحديد فرناً وقاموا بصناعة الخبز وزع رغيف صغير جداً لكافلاليوم لكل فرد صنع من الطحين المتبقى في المطبخ. ولا زلت أذكر أخوانا الشهيد أبو دجانة الشيخ وكان قبل أن يوزع الطعام يدعو الله سبحانه أنه يبارك لنا في الطعام وندعو معه وكنا نحس فعلاً بالشعب، وكانت المياه قليلة واقتصر الاستعمال على ما يبل الرمق حيث أمرت اللجنة الشرعية وجوباً بالتيمم والاستجمار والتزم الكل بذلك حتى الغير إسلاميين، وصلينا الاستسقاء وبعد سويات قليلة من انتهاء الصلاة أكرمنا الله بنزول المطر وكنا قد وضعنا براميل بلاستيك تحت (المزاريب) التي امتلأت بماء الغيث، لكن النظام الخبيث الحاقد قام برش السطح بماء الصرف الصحي ومياه كبريتية وكربونية من خلال سيارات الإطفاء مما أدى لتلوث الماء ولكن غزارة المطر أذهبنا هذا التلوث واستخدمنا منها بالتنظيف والشطف والغسيل حيث مرت أسبوع ولم نضع نقطة ماء على وجوهنا.

كان هناك أخ خطاط ووجدت أقلام تخطيط في قلم السجن فتم نشر الإعلانات والبيانات والنصائح والتوجيهات في الأجنحة مما أعطى الاستعصاء بعده حضارياً وتم تأسيس مكتب للخدمات وهو أشبه بمكتب طوارئ يشرف على تسبيير أمور السجن وتنظيمها وحل أي إشكال قد يحصل بين السجناء ومساعدتهم بما يتاح ومضت هذه الأيام بحلوها ومرها حتى وصلنا إلى يوم 17/12/2008 وهنا حدثت عدة حوادث مفصلية غيرت مجرى الأحداث وكانت متزامنة.

فقد أصيب أحد السجناء من ppk من الحسكة اسمه تحسين وهو إيزيدي بطريق ناري مخترق لرأسه وكانت حالته حرجة للغاية، تم إجراء الإسعافات الأولية البسيطة والمتوفرة ولكن رفاته من الأكراد طالبوا بإخراجه إلى مشفى النظام أملاً بعلاجه نتيجة لوضعه الحرج وقرر الأطباء أنه لا يمكن أن يقدم له شيء في السجن أكثر ومن الممكن أن تكون له فرصة بالنجاة إذا نقل إلى المشفى ولكن التصعيديين رفضوا خروجه بحجة أنه قد يسرّب معلومات عن السجن وقد يكون ذريعة للتعاطي مع النظام مما قد يفتح الحلول التفاوضية المرفوضة.

جاء الأكراد إلى أحد أعضاء اللجنة وهو أبو البراء صوفان مطالبين إياه بإخراج مصابهم وذكريين بأنهم بقوا بإرادتهم التزاماً منهم مع الإسلاميين، خاف أبو البراء من حصول حساسية مع الأكراد وغير الإسلاميين مما يفيض النظام ولكن الجميع قوبلاً

برفض قاطع من قبل التصعيديين بحجة أنه يزيدي كافر وقام أبو البراء بحشد مئات السجناء لفرض الأمر الواقع وإرغام التصعيديين على إخراج اليزيدي بالقوة وبالفعل تقابل الصfan بالبواري والرماح!! وكادت أن تكون مقتلة مهلكة ولكن تدخل بعض السجناء لفض الاشتباك و كذلك حصول أمر قدري نزع فتيل الفتنة ظاهره شر ولكن الله لطيف سبحانه.

وهو في مشهد آخر ومتزامن كان النظام من الصباح يحشد مزيداً من القوات وشوهدت تحركات مرية لأول مرة ودخل أصحاب البدلات الحمراء(كتيبة الكيمياء) وشاهد ذلك قادة لأول مرة كعلى مملوك وأصف شوكت وعلى مخلوف يزورون الحشود مما بدا أنه تحضير لهجوم كبير ستنستخدم فيه الغازات بكثافة وفي الوقت الذي كاد أن يحصل فيه الاشتباك وإذا بینادي المنادي بأن النظام بدأ هجومه كما توقعنا واستخدم لأول مرة براميل تصدر غازات بدلاً من القنابل، وأحضر النظام (ياكر بوكلابين) وببدأ بثقب جدران بعض الأجنحة واضعاً تحتها الاسفننج وبذات مكبرات الصوت تطالب بالاستسلام: نحن لسنا زئاب نحن دولة ويدا المشهد مرعباً وخاتماً وببدأ النظام بقذف مئات القنابل والذخيرة الحية وأصبحت لا ترى أمامك من شدة الدخان الكثيف وظن الجميع أنها القاضية! وتفرق فريقا الاشتباك فلقد جاءهم ما يشغلهم وببدأ السجناء يحاولون سد الفتحات التي كان يحاول منها النظام إخراج بعض السجناء، فلقد كانت خطة مدبرة بين بعض السجناء من غير الإسلاميين والنظام حيث تم تحديد هذا الموعد لخروج هؤلاء السجناء بهذه الطريقة الخبيثة وتم إحباط هذه المحاولة ولم يخرج سوى سجين واحد هو الجاسوس العراقي المثير للجدل والمسمى بالمشهداي والذي استطاع الإفلات والهروب، كان النظام مجهاً الأسفنج في الأسفل للفوز عليه والكاميرات تصور للإظهار للعالم الخارجي كيف أن النظام يريد إنقاذ السجناء من التكفيريين!!

وكانت محاولة النظام إخراج السجناء من جناح الـ ج يسار ثاني، و مباشرة صعد الانغماسيون من الطابق الأرضي إلى هذا الجناح وقاموا، بتفجير غاز(طبغ) كان معداً لهذا الأمر في ورشة من أول أيام 12/6 على بوكلابين فتراجع واستغلوا ذلك وسدوا الثغرة التي فتحها تحت النيران وفشلوا هذه الخطة الشريرة والتي كان من نتائجها الخيرة أن منعت الاقتال الداخلي وحمد السجناء ربهم على هجوم النظام الذي بدا منقداً للموقف!!

وسقطت آخر ورقة للنظام والتي استخدم فيها أقصى ما يملكه من طاقات عسكرية لفرض حله وإذا بالمكبرات تصيح وتبه السجناء إلى الاستماع لبيان هام وكانت لغة البيان هادئة تكلم فيها النظام بلغة محترمة قائلاً: إن شخصية قيادية كبيرة جداً من النظام تريد اللقاء والتفاوض مع لجنة مختارة من السجناء، وقال البيان: إن كنتم موافقين على التفاوض فارفعوا الرأية البيضاء وبالفعل قام بعض السجناء برفع هذه الرأية ومن هذه اللحظة تغيرت الأمور وتم استغلال هذه الأحداث والتطورات وتم إسعاف اليزيدي تحسين وإخراجه للمشفى كما طلب الأكراد ورد الله النظام لم ينزل شيئاً وكفى الله المؤمنين.

هذا النظام من القنص ليس بمسمح لأجواء التفاوض أن تسود وبدأ الجدل يدور بين السجناء حول هذه المفاوضات وشرعيتها والجدوى منها، ففريق من السجناء قرر أن ينزل على النظام بباسه الداخلي قائلاً أنه سيحارب من يمنعه! وفريق اعتبر المفاوضات جريمة بل و ربما ردة عن الدين، وبين الإفراط والتغريط خشيته اللجنة ضياع الأمر وانفراطه وبالتالي خسارة كل شيء فقررت اللجنة القيام بمناورة سياسية داخل السجن لضبط الأمر، حيث أعلنت اللجنة عن ضرورة القيام بانتخابات يبين فيها السجناء عن موقفهم وعن ممثليهم في المفاوضات عبر التصويت فيما لو عقدت مع النظام وقررت اللجنة الشرعية أنه لا مانع من هذه الانتخابات على مبدأ "أخرجوا لنا عرفاءكم" فهي من مسائل السياسة الشرعية التي ينظر فيها للمصلحة.

وكانت الغاية من هذه الانتخابات هي تشكيل رأي عام وبيان الممثلين الحقيقيين للسجناء وبالفعل تم ذلك الأمر وتمت الانتخابات على قضية التفاوض. وشارك فيها 1000 من السجناء وامتنع حوالي 200 واختلفت نظرية الممتنعين: فمن قائل أنها مفسدة واستسلام ومن قائل أنها ردة وسماتها: برلمان صيدنايا.

هاز أعضاء اللجنة علىأغلبية الأصوات مما فهم أنه تفويض منأغلبية السجناء للجنة في عملية التفاوض مع النظام وأصبح التصعيديون أقلية فعلاً.

أرسلت اللجنة رسالة للنظام تبين فيه الموافقة على المفاوضات للوصول إلى حل مشرف وبهذا تشكل فريق ثالث وسطي وهو التفاوض السياسي تحت الحراب! حيث ضمت الرسالة بعض آيات القرآن الكريم والبسمة فأعتبرها بعض الغلة من التصعيديين إلقاء للمصحف وإهانة له وبالتالي كفر والله المستعان.

ظهور هذه المواقف الغالية التكفيرية كان سبباً في انفضاض البعض عن التصعيديين وبدأت تدب فيهم الخلافات ويتناقض عددهم حتى وصلوا إلى الـ 50 فقط، نتيجة لأنأغلبية السجناء جنحت للمفاوضات فقد رضخ كثير من التصعيديين لها وقبلوا بها من حيث المبدأ وطالبوها بممثلين لهم لكن لم يتم هذا الأمر.

بعد أيام من المساجلات السياسية داخل السجن قررت اللجنة الانقسام إلى فريقين: فريق ينزل للنظام للمفاوضات وفريق يبقى لإدارة السجن لأي طارئ.

ماذا حصل في هذه المفاوضات؟ وكيف كانت الأجواء أثناءها؟ هذا ما سنكلم عنه في الحلقة القادمة وقد اقتربنا من النهايات.

الحلقة السادسة عشرة:

تكلمنا في الحلقة الماضية عن الأحداث بعد 6/12 وأجواء السجن وقصة الكريدي وتزامن ذلك مع مخطط النظام بهجوم شامل تم إحباطه ولله الحمد، وبعد 6/18 أصبحت المرحلة هي مرحلة المفاوضات والتي أصبحت أمراً واقعاً بين مؤيد و موافق على مضمض وبين معارض رافض.

أيدتأغلبية السجناء المفاوضات على أن تتولاها اللجنة المنتخبة من السجناء لما لها من خبرة مع النظام وموثوقية لدى عامة السجناء، اجتمعت اللجنة المختارة ووضعت ضوابط للمفاوضات المقبلة والتي كانتأشبه بـ مغامرة فقد تغيرت المعطيات والظروف بالنسبة للطرفين، وخوفاً من أمر طارئ فقد قررت اللجنة الانقسام إلى مجموعتين: قسم ي GAMER وينذهب للمفاوضات وقسم يبقى في السجن لإدارته فيما لو غدر النظام.

في يوم بارد عاصف والريح هائجة نزل فريق التفاوض وهم: أبو حذيفة الأردني وأبو البراء صوفان وفواز اللبناني وأبو بلال التحريري والشيخ سمير.

نزلوا وسط نظرات استغراب واستهجان من قبل جنود النظام الذين حملوا فيهم وكأنهم يقولون: من هؤلاء البشر الذين أشلوا النظام كل هذه المدة؟ وبقي من أعضاء اللجنة المختارة: الشيخ أبو العباس وأبو حمزة الجفل في السجن كما ذكرنا، وعند نزول الفريق المفاوض استقبلهم أحد الضباط وقام بتقييدهم وتطميسهم ووضعوا في سيارة وطلب منهم الصمت واقتادتهم هذه السيارة إلى جهة تبين لاحقاً أنها شعبة المخابرات العسكرية حيث آصف شوكت. وكانت المعاملة حازمة دون إهانات ووضع أعضاء اللجنة في منفردات دون الكلام معهم بأي شيء وهنا بدأ الشكوك تتساورهم حول المصير المجهول. دارت في أنفاسهم أنهم سيعذبون وأن النظام الآن يقتحم وكان بالهم مشغولاً بمصير السجناء الذين تركوه وراءهم في هذه المهمة المستحيلة وبعد أكثر من يوم طلب هؤلاء العناصر وقيدوا إلى غرفة مقيدين مطمسين لمحاولة ترهيبهم ولكن لم يتم إذلالهم كما أظهر برنامج الجزيرة عن صيدنايا، وكان في الجلسة آصف شوكت و محمد منصورة (رئيس شعبة الأمن السياسي) وربما ماهر الأسد وكان معهم خليل الخالد كونه قائد الشرطة العسكرية وحاول فريق النظام تذكير لجنة السجناء بقضاياهم التي سجنوا بسببها كما فعل فرعون مع موسى " فعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين".

صمدت لجنة السجناء أمام ترهيب النظام وكانوا متصلين وبعد جولة عسيرة مع النظام أخرجوا وعادوا في اليوم الثاني

لجولة جديدة وحاولت لجنة السجناء الحصول على عفو عام وإخراج السجناء وطلبات عالية ولكن النظام رفض كل ذلك عارضاً خطته للحل من أربع نقاط:

يتم نقل السجناء إلى سجن عدرا تحت وصاية وزارة الداخلية ويغلق باب المحاسبة على الأحداث وتفتح الزيارات مع وعود عامة بالإصلاحات والتحسينات. وطالبت اللجنة النظام بإذاعة هذه النتائج على الإعلام ولكنهم قوبلاً برفض قاطع من النظام والذي قال لن أكرر تجربة 5/7/2008 التي أبرزت الإعلام.

وكان النظام حاسماً في أمره قائلاً سنكرر تجربة (الباكن) وإحداث الفتحات وسنرهقكم بالغازات وسنستمر هكذا شهراً شهرين بل شهور حتى تستسلموا لنا، ومع الزمن سينفد الماء والطعام وسوف تتتساقطون من شدة الجوع والعطش والإعياء ولن نبذل حينها جهداً في التقاطكم!!!

رأىت اللجنة أن النظام لديه رغبة في الحل وإنهاء الملف وأن القبول بهذا العرض قد يقي السجناء من نتائج أسوأ فيما لو تم التعتن وهذا أفضل الموجود.

وفي مشهد آخر وعندما فارقت اللجنة السجن كان السجناء في ترقب وتحسب لأي طارئ حيث خيم القلق والترقب عموم السجناء وقد حدث أمر وهو أن النظام استهدف أثناء ذهاب لجنة المفاوضات أحد السجناء من البوكمال واسمها: ناجي الوادي بطلاقة قناصة أردوتة على الفور رحمة الله.

هل كان هذا الحدث متعمداً من النظام لإفشال المفاوضات أم كان عرضياً، كان الأمر مقلقاً وتم إرسال رسالة للنظام فيها تنديد، وبمقتل هذا الأخ وكيف يمكن السير في المفاوضات مع هذا الغدر!! فرد النظام عبر المكبر بكل وقارحة وعهر: أنكم أنتم أيها السجناء من قاتلتموه!! وأن الطب الشرعي سيكشف هذه الجريمة وأنكم أيها السجناء من يسعى لإفشال المفاوضات فتم الرد كيف ذلك ورفاقنا عندكم للفتاوض!! فكيف نفرط فيهم!

وتم عقد اجتماع لباقي اللجنة مع بعض الوجهاء من السجناء حول كيفية العمل فيما لو تم خطف لجنة المفاوضات أو إعدامهم؛ وكيف الرد على مقتل ناجي. وتم إجراء تحقيق ميداني فكان من المرجح أن الأمر كان عرضياً حيث قام ناجي الوادي بحركة استهزاء للقناص الذي انتقم بهذه الطريقة الخبيثة.

وتقرر الانتظار والصبر لمدة ثلاثة أيام وفعلاً بعدها جاء نداء عبر المكبر إلى السجناء حيث يتربّض السجناء للسماع بفارق الصبر، تلا البيان الشيخ سمير وذكر فيه خطة النظام السابقة وكان السجناء في ترقب وحذر وغلب على ظنهم أن اللجنة معتقدة ومكرهة على إذاعة البيان. ولكن كانت اللجنة منسقة مع باقي أعضائها بشيفرة وهي ابتداء الكلام بالسلام عليكم وأن هذا يعني أن الوضع طبيعي وليس هنالك إكراه على الكلام، وإن بدأ الكلام بغير السلام عليكم فالوضع غير طبيعي والكلام تحت الإكراه وعليكم أن لا تأخذوا به فهنا اطمأن السجناء إلى صحة كلام اللجنة وجديتها.

وصعد بعض أعضاء اللجنة إلى السجناء لشرح ما جرى وتحفظ النظام على البعض الآخر وخاصة أبو حذيفةالأردني ولم يسمح له بالصعود، ولكن زاره بعض رفاقه في الخيمة حيث طمأنهم إلى نتيجة المفاوضات وأنه لا مجال لأكثر من هذا وهذا ما لمسه حقيقة دون إكراه أو ضغط، كان الجو العام مضطرباً حينها حيث سارع الانبطاحيون إلى الموافقة المباشرة وطالبوا بالنزول فوراً على النظام بكل حماسة مما أربك الموقف.

هؤلاء الانبطاحيون لا تفهمهم إلا أنفسهم ومسارعاتهم بالاستسلام دون وجود ترتيب عام قد يضر كثيراً باقي السجناء.

حاولت اللجنة لملمة الأمور بأنه لا يمكن الموافقة على الخطة إلا بعرضها من جديد على اللجنة الشرعية وتقييمها مرة أخرى داخل السجن وكان الهدف كذلك أن يتم إقناع المتردددين والرافضين أو على الأقل عدم اعتراضهم على الحل وبالفعل اجتمع الشرعيون وقرروا:

أنه لا مانع من الاستئسار مرة أخرى وذلك نتيجة العجز عن المدافعة واستدلوا بقصة استئسار خبيب بين عدي في قصة

العاصم، وأن الخيار مفتوح لمن يرى عدم الاستئسار وهذا جائز أيضاً ولكن عليه أن يتلزم بالهدوء ريثما يخرج من بريد الإستئسار من السجناء ، وتم إعلان الفتوى وإبلاغ النظام بالموافقة على أن يتم نقل السجناء بطريقة مشرفة متدرجة على دفعات وأن يرجع قسم منهم لطمئنة رفاقهم وببدأ الدفعات تنزل يوماً بعد يوم مع بعض المضايقات من قبل التصعيديين الذين بدأوا صفوهم تهتز وتتناقص مع خروج السجناء وتسليمهم أنفسهم.

قسم من التصعيديين كان صادقاً وقال: هذا خيار السجناء وهم إخوانى وقد تعبوا ولا حرج عليهم وأسأل الله أن يوفقهم وأما أنا فسأبكي للنهاية، وقسم آخر كان يرى أنه متورط في بعض الأحداث وأن مصيره سيكون الإعدام وأن قتله مواجهة أشرف من أن يستأسر ويفتن عن دينه!! وقسم بدأ بحملات التكفير بدعوى النزول على حكم الطاغوت والعجيب أن أغلب هؤلاء استسلموا في النهاية للنظام بدعوى: أنهم تحت إكراه ملئى معنوزرون وأما من نزل ابتداء فهو كافر مرتد لأنه لم يكن مكرهاً وكانت لديه القوة حينها (حسب رأيهem).

نزل أغلب السجناء من الإسلاميين وغيرالإسلاميين ولم يبق إلا الجهاديون الذين كانوا لا يتمنون النزول حقيقة وربما فكر الكثير منهم بالبقاء!.

كما ذكرنا سابقاً من أول يوم في 6/12 قام القتاليون بحفر نقرين الأول تمويهي والثاني حقيقي وكانت الخطة للهروب أولاً، لكن لما صعب وطال الأمر تغيرت الخطة للقتال بحيث يصل النفق إلى ما وراء خيم العسكر فقط ويخرج الانغماسيون للالتحام معهم والحصول على السلاح.

أثناء ذلك كشف النظام النفق ولم يحدد مكانه بدقة وخطابنا عبر مكبرات الصوت أن أعمال الجرذان لا تخفي علينا وهنا بدأ اليأس يدخل لصفوف المقاتلين.

يوم تلت اللجنة البيان قام المشرف على حفر النفق بردمه بحجية أن النظام كشفه وهو كان يقصد بهذه الخطوة زعزعة صفوف التصعيديين ومزيد من إحباطهم وبالفعل انخفض عدد الرافضين للاستسلام كثيراً بعد ردم النفق حيث كان أملهم الوحيد وبقي 35 سجيناً في النهاية رفضوا الإستئسار.

وفي ليلة 30/12/2008 قام بعض التصعيديين بخطوة انفرادية حيث أرادوا الهجوم على النظام عبر النفق الذي تكلمنا عنه واستغلال الجو الضبابي جداً، فقوبلت هذه الخطوة باستهجان من قبل الدفعة الأخيرة لأنها قد تعرض السجناء للخطر وتقضى على رغبة من يريد النزول وفيها نقض للعهود. وكانت ليلة حاسمة وسهر سجناء الدفعة الأخيرة من الجهاديين والذين كانوا يرون بوادر معركة حاسمة يريد بعض التصعيديين فرضها عليهم ومرت ساعات تلك الليلة بصعوبة وطلع الفجر ولم يبق إلا الدفعة الأخيرة لتخرج من السجن وببدأ الترتيبات بالخروج لهذه الدفعة، وكان الجو بارداً للغاية والأجساد منهكة والجو متوتر للغاية وسط استمرار التصعيديين تحضيراتهم للهجوم على النظام.

ماذا حصل في ذلك الصباح الشاتي هذا ما سنتحدث عنه في الحلقة القادمة مع أحداث أخرى إن شاء الله.

الحلقة السابعة عشرة:

تكلمنا في المرة الماضية عن مآل المفاوضات والتي انتهت بتسليم أغلبية السجناء أنفسهم للنظام مقابل خارطة طريق عرضها النظام، كان السجناء يتم تحويلهم إلى أماكن مختلفة جهزت على عجل مما يشعر أن النظام لم يكن متوقعاً هذه الاستجابة من قبل السجناء، ونزل أغلب السجناء وبقيت الدفعة الأخيرة منهم وجلهم من الجهاديين وفي ليلة 30/12/2008 كاد التصعيديون أن يشعلوا السجن بهجوم على النظام، لكن بسبب خلافات فيما بينهم وإعطاء بعض قياداتهم عهوداً بعدم شن أي هجوم قبل نزول جميع السجناء وكذلك بسبب ضغط الدفعة الأخيرة ولم يتم هذا الأمر وظل السجناء وكنت منهم متأنبين ساهرين حتى بزغ الفجر ولكن بعض التصعيديين كان مقرراً أن يهجم أثناء نزول هذه الدفعة وكان الوقت عصياً

جداً حينها وأحس النظام بشيء فكان متأهلاً جداً وكان يقوم بتفتيش شكلي للإسراع في استلام السجناء المسلمين، تباعي الـ 35 آخراً المتبقين على الموت وأعطونا عهود أن لا يفعلوا شيء حتى ينزل آخر آخر من يرغب بتسليم نفسه ووفوا بذلك في النهاية.

أثناء نزول آخر بفعة ظهيرة يوم 31/12/2008 وحيث كانت تخضع لتفتيش في الخيمة قام الإخوة المتبقون بإحداث فتحة في جدار جناح الـ ج بسار أرضي، والغاية هي انغماسهم والوصول إلى أقرب قطعة سلاح بحيث يبدأ الالتحام مع العسكر وبالفعل انطلق أول آخ من الفتاة فأردوه قتيلاً على الفور وتبعه الثاني ثم الثالث حتى وصلوا إلى ثمانية إخوة وكلهم قتلوا قبل أن يصلوا إلى السلاح وحينها قرر الآخرون التراجع إلى المسدس وإغلاق الفتحة.

هؤلاء الثمانية هم على الترتيب: أبو خالد الكندي (عربي تركماني) - أبو سعيد الضحيك (بورية من تلبيسة حمص) - أبو حمزة عتاباً (فلسطيني هو كان أميرهم)، كذلك أبو حمزة (قطنا - ريف دمشق) - باسل مدراتي (حلب) - عمر الحناوي (حلب) - أبو سعيد دروشة (نازحي الجولان) - أبو صلاح الفلسطيني رحمهم الله.

هؤلاء الإخوة الثمانية كانوا معروفين بصدقهم وجديتهم رغم مخالفتهم لجمهور السجناء إلا أنهم يحظون باحترامهم بسبب صدقهم في طلب الشهادة، وللعلم فإن هؤلاء الإخوة لم ينخرطوا في تكفير من أخذ بالرخصة ونزل وإنما فقط عتب وتألم وفي الأخير قالوا للسجناء لكم خياركم رحمهم الله وغفر لهم.

بعد مقتل هؤلاء الإخوة بقي حوالي 25 سجيناً بينهم جرحى وتراجعوا إلى المسدس وقرروا الصمود حتى النهاية وتخلوا عن فكرة الهجوم المباشر، كان أبرزهم الأخ أبو علي تفتاز والذي كان يحلم بتفجير صنم حافظ الأسد في بلده واعتقل بسبب تحضيره لتفجير الصنم فحقق الله أمنيته بعد استشهاده بسنوات، وبقي بعض أعضاء اللجنة يتربدون على البقية يحاورونهم عبر النوافذ لمحاولة إقناعهم بتسليم أنفسهم واللحاق بأخوانهم فرفضوا ذلك.

وفي مساء ذلك اليوم قام شخص منهم اسمه أبو مسلم الفلسطيني - من الغلة وممن كفر من نزل - بتسليم نفسه ليلاً دون علم أحد وعندما افتقده رفقاء، قاموا بالبحث عنه ولم يجدوه، فتبين لاحقاً أنه تعاون مع النظام وأعطاه معلومات عن (الغازات المعدة للتغيير) وخطة من تبقى للدفاع إن تم الاقتحام، وكان واضحاً أن النظام يريدهم أحياء وصبر عليهم كثيراً وفي الوقت نفسه تم إعادة اعتقال لجنة السجناء وتوزيعهم على مكائنين:

بين القابون حيث مقر الشرطة العسكرية (أبو حذيفة الأردني) والباقي في منفردات السجن الثاني (حسن صوفان وأبو سليمان وأبو بلال وفواز اللبناني)، وأثناء تواجدهم بالمنفردات سمع الأخ حسن صوفان صوت إطلاق نار كثيف وعرف أن خطباً ما حصل في السجن فحاول تحصيل موافقة للعودة إلى السجن، ليفهم ما جرى ويقنع البقية بتسليم أنفسهم حقناً لدمائهم فرفض طلبه حتى أضرب عن الطعام أربعة أيام ثم وافقوا له على ذلك وسمحوا له ولفواز اللبناني بالذهاب إلى السجناء فكلموهم من المطبخ وقال لهم حسن صوفان مستخدماً أسلوبه العلمي وقوته في الاحتجاج والمناظرة:

لا يجوز لمن تحدثه نفسه الاستسلام أن يتمتع عن ذلك استحياءً ومخافة كلام إخوانه عليه فهذا من التوابيا المحرمة كما تكلم ابن النحاس في مشارعه، وبالفعل كان هذا الباعث موجوداً عند البعض فاقتتنع شخصان وعاداً مع صوفان وفواز وسلموا أنفسهما وهما سلمان خلف الجبر وشققين على الخطيب من حمص.

وفي 14/1/2009 قام شخص مشبوه منهم اسمه نديم البالوش من اللاذقية (أحد أمراء داعش الآن) والذي كان يكفر من نزل ويؤجج الفتنة ويحرض على اللجنة، وكان بالوش معروفاً بخطبه الثورية الحماسية قام بطلب لقاء آصف شوكت للمفاوضة حول وضعهم وتبين لاحقاً أنه لا يمثل إلا نفسه وأنه تصرف شخصي منه، كذلك تكرر لقاء فراس الصغير وأبو الفاروق الحسکاوي مع آصف شوكت دون نتيجة وبدأ النظام يفقد صبره ويستعد للهجوم عليهم.

ويقال أن عمرو العبسي (أبو الأثير والي داعش في حلب سابقاً) وشخص آخر التقى آصف شوكت حتى أصبح لقاء آصف

مهزلة في أعين ضباط النظام...، الذين عبر أحدهم عن امتعاضه من ذلك وقال: في حياتي كلها لم أتجرأ وأطلب لقاء رئيس شعبة المخابرات العسكرية (آصف شوكت) وهؤلاء السجناء يلتقطونه! طبعاً نديم البالوش كان مقرراً أن يعود للسجناء بعد لقائه مع آصف ولكن لم يعد نهائياً لهم وتفاجأ الجميع بعد فترة أنه خرج إلى بيته بصفة سرية، وقبل خروجه بقي متتنقاً بين أفرع المخابرات وكان له مكانة خاصة ويقابل آصف بشكل متكرر ويعاقب من يخالفه حتى كان الناس يسكتون أمامه خوفاً من العقاب.

هنا قرر النظام الاقتحام وبالفعل ليلة 27/1/2009 قام بالاقتحام وقتل قسماً منهم وأسر الباقى كما أنه قتل البعض بعد أن أسرهم مثل فراس الصغير، ونعمان الشماط ويبدو أن فراس الصغير وهو من حرستا ويتقن عدة لغات دفع ثمن جرأته أثناء لقائه مع آصف شوكت حيث عرف عنه سلاطة لسانه - رحمة الله -

قتل 15 شخصاً أثناء الاقتحام من أبرزهم أثير الشاكر من الميارين وفراس الصغير وأبو الطيب الدردار مهندس النفق وأبو الفاروق الحسکاوي، وتم أسر الباقى وتحويلهم إلى فروع المخابرات وتمت معاملتهم معاملة عادلة خلاف المتوقع لغاية عندهم وتمهيداً لمحاكمتهم لاحقاً من جهة أخرى.

وبهذا أُسدل الستار على ملحمة صيدنايا بُعْجِرَهَا وبُعْجِرَهَا ودخل النظام السجن لأول مرة منذ 5/7/2008 وسيطر على الموقف كاملاً ومشط السجن المدمر.

الأحداث التي حدثت بعد نهاية الأزمة ومصير السجناء ومصير اللجنة هذا ما سنبحثه في الحلقة القادمة بإذن الله....

الحلقة الثامنة عشرة:

تكلمنا سابقاً كيف انتهت صفحة صيدنايا الملحمية بعجرها وبجرها وكيف اقتحم النظام في النهاية في تاريخ 27/1/2009 حيث تمكنا من تمشيط السجن، فقتل قسم وتم أسر قسم آخر واستسلم قبل الاقتحام البعض أغلبهم كانوا جرحى ودخل النظام إلى السجن المدمر المحترق وصوّر كل ذلك، وبلغ عدد القتلى الإجمالي في كل مراحل الاستعصاءات 58 سجينًا بكل أنواع الموت ومنها التصفية تحت التعذيب وعدد الجرحى تجاوز الـ 80 جريحاً، كما ذكرنا كانت دفعات السجناء تنقل إلى أماكن مجهولة حيث يوضعون في مهاجع كبيرة غير مجهزة بشيء مما يشعر بعدم تحضير النظام لهذا الحل، أغلب السجناء نقلوا إلى سجن عدرا حيث وضعوا في صالات رياضية وأقبية لجناح المخدرات وكان يوضع في المكان الواحد أكثر من مائة سجين وتم نقل قسم آخر وتوزيعهم على الفروع الأمنية وهي (فرع فلسطين - فرع الدوريات - فرع أمن الدولة - فرع التحقيق - سرية المداهمة وشعبة المخابرات العسكرية)، وهناك قسم آخر نقل إلى بناء آخر مجاور لسجن صيدنايا يطلق عليه اسم السجن القضائي يبعد 3 كم عن سجن صيدنايا المعروف بمسديسه، أما اللجنة فتنقلت بين عدة أماكن بين شعبية المخابرات والقابون (حيث مقر الشرطة العسكرية المركزي) ومنفردات السجن القضائي وأخيراً في فرع الدوريات، وأما الذين تم أسرهم في اقتحام 27/1/2009 فتم نقلهم إلى القابون حيث مقر الشرطة العسكرية وقتل هناك تحت التعذيب نعمان الشماط من سرغايا غفر الله له، ثم نقلوهم إلى شعبة المخابرات العسكرية وبدؤوا التحقيق معهم حيث كانت أسماؤهم وكل المعلومات موجودة مسبقاً عند المخابرات من قبل الجوايس والعملاء، وكان السجناء يتلقون البطش بهم والانتقام والدوالibb كنوع من رد هيبة النظام ولكن النظام على غير عادته كانت معاملته عادلة ولكنها صارمة وحزنة، حيث سمع للسجناء بإظهار شعائرهم الدينية حيث كان الأذان جهراً والصلوة جماعة وإطلاق اللحى وإرخاء الشعور وحتى دروس الشريعة واللغة العربية.

أما من ناحية الخدمات فيختلف الحال من مكان إلى آخر وإن كانت الفروع الأمنية هي الأفضل من حيث المعاملة والخدمات وبيقينا على هذا الحال ستة أشهر، وتم فتح ملفات تحقيق بالأحداث وأشرف عليها ضباط كبار كانوا على درجة

من الحرفية والخبرة ومن أبرزهم الضابط صلاح وكان قد خضع لدورات في ألمانيا وكان التحقيق قوياً دون تعذيب ولكنهم استطاعوا الحصول على جميع المعلومات بسبب وجود متبرعين كما ذكرنا من وجود هذا الداء في الحركات الإسلامية. استمر التحقيق أشهراً حيث خضعت اللجنة ومن في الفروع الأمنية وسحب بعض العناصر من عدرا وتم تجهيز ملف كامل ورفع إلى مكتب الأمن القومي.

المعلومات تشير بقوة إلى أن هذا التقرير لم يكن عادياً حيث شمل تقريباً عاماً لطبع السجناء وأفكارهم ومناهجهم ويقال بأن النظام اعتمدتها لاحقاً، وفي نفس الوقت الذي كان فيه التحقيق يجري كان النظام يعمل ليل نهار على تجهيز سجن صيدنaya المدمّر لإعادة السجناء إليه مرة أخرى، لكن النظام لم يطلع السجناء على هذا الأمر لأنّه كان يوعدهم بالانتقال إلى سجن مدني كما ذكر في خارطة الحل التي اقترحها في مفاوضات إنهاء الأزمة، ونتيجة لاكتظاظ السجناء وطول المدة كان يأتي مسؤول ويعطي جرعات تخدير وتنفيس للسجناء وتأكيد للوعود الكاذبة التي كان يطلقها بين الحين والآخر، بعد ستة أشهر تم إعادة أول دفعـة إلى السجن المرمم والمطلي بالأحمر والذي أطلق عليه السجن الأحمر لاحقاً واحتـفظ بالباقي لستة أشهر أخرى.

كان النظام حريصاً على سرعة إنجاز هذا الأمر لإظهار هيبته من جهة ولطمأنة العالم الخارجي من جهة أخرى حيث تناولت وسائل الإعلام أحداث صيدنaya، وأول ما وصلت الدفعـة الأولى حلـقـوا لها الشعور واللحـى وكانوا حازمين جداً والذي رفض هدوـه بالمنفردات واتبعـوا أسلوب الترغيب والترهيب بذلك.

السجن أصبح عبارة عن أقفاص حديدية حيث صفحـوه كاملاً وكل شيء بالبلاستيك من أدوات الطعام وأدوات الصحية وممنوع النـدوـات، والدوـاء والطـعام سـيء للـغاـية، وـمنعـت صـلاـة الجـمـاعـة وكـنـاـ نـصـلـيـ خـفـيـةـ ولا يـسـمـحـ بالـجـهـرـ بـالـأـذـانـ وـتمـ زـرـعـ كـامـيـرـاتـ مـراـقبـةـ فـيـ الأـجـنـحةـ وـإـقـفـالـ الأـبـوـابـ بـشـكـلـ مـحـكـمـ وـتـقـلـيلـ مـنـافـذـ التـهـويـةـ.

تفاجأ السجناء بسرعة فتح الزيارات حيث تم ذلك بعد شهر تماماً من وصول أول دفعـة وكان ذلك في 20/7/2009 وانتشر خبر الزيارات على الإعلام، وتم استقدام القسم الثاني من السجناء بعد ستة أشهر من القسم الأول وكانت المعاملة أفضل لهم إلا أن المراقبة والحرز كان أكثر، واللجنة عادت إلى السجن آخر شيء مع السجناء الذين تم أسرهم أثناء الإقتحام واستطعنا تحقيق اتصال معهم بعد جهد كبير وفهمـناـ مـنـهـمـ ماـ جـرـىـ معـهـمـ.

فأبلغـونـاـ أـنـهـ فـرـعـ الدـورـيـاتـ جـمـعـ رـؤـوسـ الـاسـتعـصـاءـ وـعـامـلـوـهـ مـعـاـمـلـةـ خـاصـةـ وـمـنـ أـبـرـزـهـمـ:ـ أبوـ حـذـيفـةـ وـأـبـوـ سـعـدـ قـاعـودـ وـحـسـنـ صـوـفـانـ وـالـجـلـلـ وـأـبـوـ الصـادـقـ،ـ هـؤـلـاءـ إـخـوـةـ وـرـغـمـ مـاـ كـانـ بـيـنـهـمـ مـنـ خـلـافـاتـ إـلـاـ أـنـهـمـ تـصـارـحـوـ وـمـنـ ثـمـ تـصـالـحـوـاـ وـسـامـحـ بـعـضـهـمـ بـعـضـاـ وـأـخـبـرـ أـبـوـ حـذـيفـةـ أـبـاـ حـمـزةـ بـأـنـهـمـ عـلـىـ مـنـهـجـ وـاحـدـ.

كان هذا المشهد رغم أنه جاء في وقت متأخر إلا أنه كان مؤثراً حسب ما نقل لنا حيث نزلت الدموع وغسلـتـ القـلـوبـ وأحسـ الجميع بوحدة المصير، ولم يكن يخطر ببالهم أن النظام يعد لهم مكيدة كبيرة وإن كان قد تفرّس حسن صوفـانـ وـأـبـوـ حـذـيفـةـ بـأـنـ الـأـمـرـ سـيـنـطـبـشـ بـرـأـيـهـمـاـ أـكـثـرـ شـيـءـ لـدـورـهـمـ فـيـ السـجـنـ،ـ وـبـالـفـعـلـ بـدـأـتـ الـمـحاـكـمـاتـ عـلـىـ عـجـلـ مـكـلـبـينـ وـمـطـمـشـينـ حـيـثـ تمـ الـحـكـمـ بـالـإـعدـامـ عـلـىـ عـشـرـةـ مـنـ السـجـنـاءـ نـفـذـ الـحـكـمـ فـيـ سـتـةـ مـنـهـمـ وـهـمـ:ـ أبوـ حـذـيفـةـ الـأـرـدـنـيــ سـامـيـ الـمـضـاوـيــ محمدـ اـحمدـ كـيلـانـيـ مـنـ الـغـوـطـةــ أـبـوـ سـعـدـ قـاعـودـ فـلـسـطـينـيــ أـبـوـ الزـبـيرـ شـعـفـاطـيـ فـلـسـطـينـيـــ كـمـالـ دـيـبـانـ مـنـ درـعاـ.

وـتـمـ تـخـفيـضـ الـإـعدـامـ إـلـيـ مـؤـبدـ لـلـأـرـبـعـةـ الـبـاقـيـنـ وـهـمـ:ـ حـسـنـ صـوـفـانــ فـؤـادـ النـعالـ مـنـ دـمـشـقــ إـبـراهـيمـ الصـقـورـ أـرـدـنـيــ محمدـ الشـهـابـيـ نـازـحـ وـهـمـ لـاـ يـزالـونـ مـعـقـلـيـنـ.

استغرب السجناء وجود بعض الأسماء في الإعدامات والمؤبدات وفسـرـ الـأـمـرـ بـأـنـ الـنـظـامـ يـرـيدـ إـغـلاقـ الـمـلـفـ وـتـلـبـيـسـ الـأـمـرـ لـهـؤـلـاءـ الـأـشـخـاـصـ.

وـقـبـلـ اـنـدـلاـعـ الثـورـةـ بـأـيـامـ نـفـذـ الـإـعدـامـ بـهـؤـلـاءـ الـإـخـوـةـ فـجـراـ وـنـقـلـ لـنـاـ أـحـدـ عـنـاـصـرـ الشـرـطـةـ مـمـنـ حـضـرـوـاـ الـإـعدـامـ ذـلـكـ المشـهدـ

حيث صعدوا إلى كرسي المشنقة بثبات وغير آبهين بالموت وكانت حناجرهم تصدق بالتكبير حيث كفروا النظام النصيري وحزب البعث قائلين لهم أيامكم معدودة وموعدنا في أعدل محكمة.

يقال أن طلعت محفوظ وآصف شوكت وبعض الضباط حضروا الإعدام بأنفسهم كنوع من التشفى والانتقام من أناس رکعوا النظام وأجبروه على التعامل الندي، ولم يقف حقد النظام على هذه المجموعة بل تم تجهيز اضافير 200 من السجناء لإجراءمحاكمات بحقهم بتهم التمرد وبالفعل نزل بعض الأشخاص إلى المحكمة، ولكن اندلعت ثور تونس ولحقتها مصر وليبيا ثم الثورة الشامية مما جعل النظام يوقف المحاكمات وينسى صيدنaya ويلتفت إلى المظاهرات وقمعها.

بسبب ضغط المظاهرات تم إلغاء قانون الطوارئ وعلى إثره خرجت أول دفعة ممّن أنهوا ربع المدة بتاريخ 26/3/2011 وكان عددهم 279 شخصاً، وهذا هو السبب الحقيقي للإجرائي والقانوني لخروجهم وليس كما يدندن الإعلام أن النظام أخرجهم في مؤامرة ليحول الثورة من سلمية إلى مسلحة، وأكبر دليل على ذلك بقاء قيادات كبيرة وفاصلة داخل السجن لم تخرج لأنها لم تحقق ربع المدة وبعدها قام النظام بتحويل السجناء إلى محافظاتهم، وكل من ينهي ربع مدة حكمه يخرج قانونياً وخرج الكثيرون إلا أن الأخوة في سجن حلب حوصروا وحدثت معهم أحداث رهيبة أثناء أحداث سجن حلب المركزي، وانهزم الفرصة للتنبيه على هؤلاء الأخوة فقد دخل النظام إلى السجن بعد فك الحصار واقتادهم إلى جهة مجهلة ولا أحد يعرف مصيرهم إلى الآن، ومن هؤلاء الأخوة أخيه أفالضل كالشيخ مصطفى حوريه وعمار تلاوي وآخرون ، كانوا في سجن حلب المركزي فأين المنظمات الإنسانية عنهم وأين الجماعات!!

وللعلم فإن الإسلاميين الذين كان يتم اعتقالهم بعد 2008 لم يتم تحويلهم إلى صيدنaya إلا قبيل الثورة مع تعليمات مشددة بعدم احتاكهم مع الالدماء، ولم يتم اللقاء بهم إلا عند التحويل إلى السجون المدنية حيث اجتمع جميع الإسلاميين وكان الواحد يمضي محكوميته ويخرج حتى فترة قريبة تم إيقافها، خرج سجناء صيدنaya من الإسلاميين ليتم ملؤه مرة أخرى بسجناe الثورة فيرتکبوا جرائم هي أبغى مما سبق فقد تغيرت المعطيات وقد النظام صوابه وعقله.

ولا يزال من تلك الحقبة إخوة أفالضل لا يزالون قابعين في الأسر قدموا لأمتهم وعملوا لنصرة هذا الدين يوم كان الكثيرون يصفقون للظلمة والطغاة، فلا يجوز لنا أن ننساهم فلا يستوي من عمل قبل الثورة ممن عمل بعدها، وحقهم علينا كبير نسأل الله أن يفك أسرهم ويجمعنا بهم على طاعته.

وبهذا تكون قد أنهينا الكلام عن أحداث هذه الملحة بعجرها وبجرها وسردنا أحداثها ليبقى الحديث عن عبرها وفوائدها آثارها لاحقاً إن شاء الله.

وللعلم فتوثيق هذه المرحلة يحتاج عملاً أكبر ولكنني أحببت أن يطلع الجيل عليها للأهمية فما لا يدرك جله لا يترك جله ولعلي أوثقها كاماً.

من مدونة د.مظهر الويس

Dr_shamee@

المصادر: